رواية
غياهب هنية
هبة الله رزق عيسى

غياهب هنية

عندما تكون الكوابيس هي الحل!

هبة الله رزق عيسىٰ

رواية

غياهب هنية

الكاتبة

هبةالله رزق عيسى

تصميم غلاف خارجي وداخلي وتنسيق وتعبئة
وتدقيق لغوي: هبةالله رزق عيسى

إهداء

إلى من أرهقتهم الكوابيس وجفاهم النوم، إلى من يرغبون في الانتقام ممن ظلمهم، أهديكم هذه الرواية لتعلموا أن الحق ينتصر دائمًا، وأن الانتقام لا يكون بيديك بعشوائية ولكنه يجب أن يكون نظيفًا دون أن تلوث يديك بدماء أعدائك، فالأفضل لهم أن يذوقوا الذل والهوان لا طعم الموت والراحة!

Hebatullah Rizk Essa

إهداء خاص

إلى أمي وأبي؛ من عَلَّمَانِي أن لا أقابل الظلم بالظلم، وأن كظم الغيظ من شيم الكرام.

رحم الله أمي وأبي وجمعني بهما في جنات النعيم لنستلذ برؤية وجهه الكريم، فهذا هو النصر الأكبر ضد هذه الدنيا الفانية.

Hebatullah Rizk Essa

مقدمة

غياهب هنية لا نهاية لها ولا فرار منها! وأول غياهبها ومنبعها هو أنتيكات هنية! محل عملها، مصدر رزقها، والمفترض أن يكون أمانها، فما له قد تحول إلى منبع لكوابيسها؟ أصبح متاهة يتيه فيها عقلها، بئرًا لفظ كل ما فيه من حقائق وأسرار، كل هذا ظهر لهنية وحدها لأنها وحدها من تستطيع أخذ حق هنية الكبرى ممن ظلمها بانتقام بارد نظيف لن تجد له مثيلًا في عالم الانتقام؛ ذلك لأن هنية ليست بهينة!!

هبةالله رزق عيسى

الفصل الأول

"حُلم"

إن للنصر بعد الظلم لذة ومذاق خاص لا يعرفه إلا من تذوقه، وحبذا لو تذوقه بيديه، تتساءلون كيف؟ ما رأيكم أن تستمعوا إلى قصتي لتعرفونها وتكتشفون بأنفسكم؟

مرحبًا، أُود أن أُعَرفكم بنفسي؛ أنا هنية، اسم قديم ألا ترون هذا؟ لكن معناه جميل أليس كذلك؟ يقولون أن لكل شخص من اسمه نصيب، لكن كان نصيبي أنا غير اسمي تمامًا. أتودون أن أحكي لكم كيف؟ حسنًا، هيا بنا.

بدأت الحكاية في ليلة من ليالي نوفمبر الكئيبة، تحديدًا في بداية الأسبوع الأخير من الشهر، كنت نائمة وحلمت بصوت يقول لي: (يوم 15/ ٧ القادم) انتهى الحلم على ذلك، وأفقت من نومي فَزعة وأرتجف ولا أدري لماذا؟ إنه مجرد رقم فما المرعب فيه؟ رقم عادي! لكن لم أستطع النوم طوال الليل، والذي كان لا يزال في منتصفه، بقيت مستيقظة حتى الصباح؛ فقد خشيت أن أغمض عيني رغم أنني قرأت آية الكرسي وقمت بتشغيل القرآن الكريم على الهاتف ووضعته بجواري، إذًا فاحتمال كون هذا الحلم كابوسًا هو احتمال منعدم لأنني أنام على طهارة وأقرأ الأذكار قبل

النوم. بِتُّ ليلتي أفكر في معنى تلك الأرقامِ وأسأل نفسي: يا تُرى ما معناها؟ إنها تمثل تاريخًا ليوم ما، ولكن أي تاريخ يكون يا تُرى؟ هل هو يوم ميلاد شخص أعرفه؟ أم تاريخ مناسبة عامة مثلًا؟ أم هو ذكرى عالمية هامة أو ربما محلية؟ أم ربما يكون تاريخ عيد من الأعياد المشهورة! كاد رأسي أن ينفجر من كثرة التفكير وصار يضُج بالكثير من الأسئلة حتى أنقذني من تفكيري صوت أذان الفجر فتوضأت وصليت وأخذت أقرأ أذكار الصباح حتى أشرقت الشمس، تناولت إفطاري وارتديت ملابس العمل وذهبت إلى مقر عملي. يا الله! لقد نسيت أن أُخبركم أنني أعمل في محل قديم لبيع التحف والأنتيكات في حي (خان الخليلي) وهو نفس الحي الذي أَقطن به، وحدي بالطبع؛ فأنا يتيمة منذ كنت بعمر الخامسة عشر، فقد مات أبواي تباعًا لذا اضطررت للعمل لكي أتكفل بمعيشتي لأنه ليس لدي معاش أو أقارب. بحثت كثيرًا عن عمل حتى وجدت ذاك المحل والذي كان اسمه "أنتيكات هنية"! مصادفة غريبة جَعَلت كل زبون ليس من المنطقة يعتقد أنني صاحبة المحل -ابنة صاحبه أو زوجته- والذي يكون شيخًا كبيرًا جدًا تخطى الثمانين من عمره، ولأنه يعشق المال ويخاف فقدانه فقد أصبح بخيلًا جدًا، وبخله هذا جعله يظل طوال عمره يعمل وحده في المحل ولا يُوَظف أي عامل أو مساعد له رُغم أن الحي منطقة حيوية وزبائنها كُثر. من المؤكد أنكم تتساءلون الآن ما الذي جعله يُغير رأيه فجأة هكذا

بعد مرور كل هذه الأعوام؟ فشخص مثله افتتح هذا المحل وهو في عامه العشرين وعمل به وحده طوال عمره فما الذي يجعله يُوَظِفُ مساعدًا له وهو في عمر الخامسة والثمانين عامًا؟! أليس ذلك غريبًا بعض الشيء؟ إنه حقًا لشيء عجاب! ولكنه أخبرني أنه كَبُرَ في السن وأصبح بطيئًا جدًا مما يجعل الزبائن يشعرون بالضيق ونصحوه أن يبحث عن مساعد له يساعده في العمل ويُنشط حركة البيع، ففكر كثيرًا في الأمر ثم أعلن عنه، لم يُعلن في الصحف بالطبع، لقد أخبرتكم أنه بخيل! لقد اكتفى بأن علق ورقة على باب المحل يطلب فيها مساعدًا له، فرأيتها أنا عندما كنت أتجول بالحي أبحث عن عمل في المحلات فدلفت المحل وتوجهت إليه وطلبت منه أن يوظفني عنده، رفض في البداية لأنه كان يريد شابًا يافعًا قويًا حتى يستطيع أن يحمل التحف الثقيلة ويتحمل شدة العمل لكنه عندما أخبرته أن اسمي هنية وأنني يتيمة وأحتاج العمل بشدة وافق، وأيضًا ظن أنني ربما أجذب الزبائن أكثر لكوني فتاة؛ فالعمل متوقف لديه منذ فترة، وافقت مضطرة بالطبع لأنه ليس لدي خيار آخر خاصة أنني قد حولت من الثانوية العامة للثانوية التجارية -منازل- حتى أستطيع أن أعمل وأتعلم في نفس الوقت وأيضًا لأنني اطمأننت لأنه شيخ كبير ولن يعاملني بطريقة غير سوية كما نرى في الأفلام، إذًا فالأمر لله يجب أن أتحمل مشقة العمل.

مرت خمس سنوات وأنا أعمل في نفس المحل، حفظت فيهم أسرار العمل وكل ما يخصه وأصبحت أستطيع تثمين التحف جيدًا. نسيت أن أخبركم أن المحل أصبح من أكبر المحلات في الخان في مجال بيع التحف بسبب معاملتي اللطيفة للزبائن ووجهي البشوش، لا تُسيئوا فهمي فأنا لا أعاملهم برقة زائدة وخضوع بالقول بل أعاملهم باحترام وأدب وأعرف ما يريدون من تحف سريعًا؛ فقد أعجبهم ذكائي وسرعة بديهتي وخفة حركتي مما يجعلهم لا يمكثون بالمحل كثيرًا ويتعطلون مثلما كان يفعل معهم صاحب المحل.

أوشكت أن أُكمل العشرين من عمري، وأنا الآن أدرس بالصف الثاني في كلية التجارة؛ انتساب بالطبع حتى لا أحضر محاضرات ويتسنى لي العمل.

وصلت إلى عملي مبكرًا اليوم؛ لأنني لم أستطع النوم، ومن كثرة التفكير كانت ملامحي باهته والإرهاق بادٍ جدًا على وجهي واختفت ابتسامتي، وبالطبع لاحظ الجميع ذلك سواء الزبائن أو صاحب المحل وسألوني عن السبب فقلت لهم أنني مريضة قليلًا.

انتهى اليوم أخيرًا وبالمناسبة أنا أعمل 12 ساعة من الثامنة صباحًا حتى الثامنة مساءً. اشتريت طعامًا لي من الطريق وأنا عائدة إلى بيتي فأكلت وقرأت الأذكار ونمت سريعًا من شدة الإرهاق، ولكن لم أستمتع بالنوم؛ فما كدت أن أغمض عيني حتى حلمت بنفس حلم الأمس والذي كان عبارة عن ظلامٍ دامسٍ لا أرى

شيئًا حولي ولا أرى أحدًا وكان هناك صوتًا يقول مرة أخرى: (15/ ٧ القادم) ثم صمت لوهلة وقال: سيكون يوم وفاتك.....

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الثاني

"تحفة عجيبة"

استيقظت فَزعة من نومي، كان قلبي ينتفض ولم أُبْدِ أي ردة فعل غير أنني بكيت فحسب، وبعد مدة من البكاء كفكفت أدمعي وتحدثت إلى نفسي أُطمئنها قائلة: لِمَ الخوف؟ إنه مجرد كابوس من الشيطان؛ فلا أحد يعلم متى موعد وفاته (لا يعلم الغيب إلا الله) وحتى إذا حدث وتحقق الحلم فما الضَير في ذلك؟ إنكِ شخص وحيد، يعيش بمفرده، ولا يوجد من يخاف عليه أو يحزن على موته، حتى أن غيابك لا يَضير أحدًا ولا يُشَكل فارقًا في حياة أي شخص، على الأقل عندما تموتين ستجدين عملك يؤنسك في قبرك وتتخلصين من الحياة الدنيا ومشاكلها وآلامها، ثم هل هناك أفضل من لقاء الله أيتها الحمقاء؟

نهضت من سريري فتوضأت وصليت قيام الليل وانتظرت قدوم الفجر فأديت صلاته وبعدها غُصت في نوم عميق أفقت منه متأخرة نصف ساعة عن موعد عملي فنهضت مسرعة وارتديت ملابسي وأسرعت إلى العمل فوجدت صاحب المحل واقفًا في بابه وسألني بقلق: لماذا تأخرتِ يا هنية؟ نصف ساعة كاملة! إنه ليس من عادتك هذا التأخير! حتى أنكِ بالأمس كنتِ

على غير ما يرام! أمريضة أنتِ؟ يبدو أنكِ لم تَنَمِي بشكل جيد!

أجبته: آسفة جدًا أستاذ سيد على التأخير؛ فلم أنم طيلة الليل، نمت فقط فجرًا فغلبني النوم وتأخرت، أعتذر لك.

رد بلهجة حادة قائلًا: حسنًا، كفاكِ ثرثرة واذهبي إلى عملك ولا تتأخري مرة أخرى.

قلت له: أمرك. وأنا بداخلي أقول لنفسي: "خمس سنوات لم أتأخر ولو للحظة واحدة، دائمًا ما أصل قبل الموعد المحدد وأذهب بعد الموعد، وعندما تأخرت لأول مرة يكلمني بهذه الطريقة الحادة! ألا يوجد بعض التقدير؟ وأنا من تعجبت لقلقه ورقته وظننته تغير لكن القالب غالب، اللهم أنقذني من هذا العمل."

من المؤكد أنكم تتساءلون لِمَ لَمْ أتزوج حتى الآن؛ فقد أصبحت في العشرين من عمري، على الأقل سأجد من يتكفل بمصاريفي، أليس كذلك؟ رُغم أنني ما زلت صغيرة لم أتخطَ سن الزواج كما يتوهم الناس بعد لكن سأخبركم لماذا؛ فأنا لست ذات جمال مُبهر لدرجة أنه يجعل الرجال يتهافتون عليّ ويتمنون الزواج مني؛ فأنا

فتاة متوسطة الجمال والطول؛ فطولي 165 سم ووزني 50 كيلوجرامًا، نحيفة أليس كذلك؟ وملامحي بسيطة ذات لون قمحي، مُختمرة وأرتدي ملابس واسعة، ومعظم الرجال لا يهتمون إلا بالشكل أو بالمال وأنا لا أملك أيًا منهما، لكن الحمد لله يعجبني مظهري وملامحي جدًا وراضية بهما ويكفيني ابتسامتي التي تُنير وجهي وتجعله أجمل، لكن الرجال نظرتهم تختلف بالطبع؛ فكل شخص يبحث عن شيء معين في الفتاة، ليس معنى ذلك أن لا أحد يتقدم لخطبتي، لا هذا ليس صحيحًا، فقد تقدم لخطبتي الكثيرون ولكن كل منهم به صفة لا تروق لي؛ أولًا: أنا فتاة يتيمة والذي سأتزوجه لا بُد وأن يُصبح كل أهلي، فيجب أن أختاره جيدًا حتى يكون لي سندًا صالحًا فأنا لا أريد أن أُعاني بقية عمري يكفيني ما عانيته، ثانيًا: أنا لا أملك من حطام الدنيا شيئًا إلا راتبي وبالكاد يكفيني لذلك لن أستطيع تجهيز نفسي، وعزة نفسي تمنعني أن أقبل مساعدة من أحد لذلك أرفض كل عروض الزواج وأُبلغ رفضي لمن يتوسط في الأمر حتى قبل أن أُقابل العريس منعًا للحرج. المهم، فلنعد لموضوعنا، طوال اليوم كان ذلك العجوز يراقبني وينظر إلي نظرات جانبية فَبَدَا وكأنه ليس مُرتاحًا لي ولا أدري لماذا؟ هل هذه أول مرة يرى فيها شخصًا لم ينم جيدًا؟ أم أنه ينوي طردي لأنني تأخرت؟ لا، لا، مستحيل؛ فهو لا يستطيع الاستغناء عني. عجوز خيبر -أقصد أستاذ سيد صاحب المحل، فأنا دائمًا ما أسمع الناس تُلقب أي شخص كبير جدًا

في العمر ومعاملته حادة وفظة مع الناس بعجوز خيبر فأعطيته هذا اللقب، بيني وبين نفسي بالطبع- أتعلمون أنه ينزعج عندما يناديه أي أحد ويقول له "يا حاج" مثلما ننادي أي شخص كبير في السن! وهذا الأمر يُثير دهشتي وفضولي فقد طلب مني أن أناديه أستاذ. حسنًا أيها الأستاذ الغامض سوف أعرف ما الذي تُخبئه ذات يوم! انتظروا سأصفه لكم؛ هو عجوز وجهه مليء بالتجاعيد لكنه ما زال وسيمًا فيبدو أنه كان جميلًا جدًا عندما كان شابًا، طويل القامة أطول مني تقريبًا بعشرين سنتيمترًا ونحيف، لكن رغم كبر سنه إلا أنه ما زالت قامته منتصبة لم تتأثر بعوامل العمر وما زالت صحته قوية لكن حركته أصبحت بطيئة قليلًا. لقد تخطى الثمانين عامًا تقريبًا، أعتقد أنه مواليد أربعينيات القرن الماضي، عاش في عصر الملكية وعاصر كل رؤساء مصر وعاشر اليهود الذين كانوا منتشرين في الخان قديمًا فكان له أصدقاء كُثر منهم، وسمعت أنه كان يهوديًا ثم أسلم حتى يظل مُقيمًا هنا، لا أحد يعرف شيئًا عن عائلته لأنه شخص غامض جدًا وليس لديه أصدقاء؛ فلا يخرج من بيته إلا للمحل لا يزوره أحد ولا يزور أحدًا، حياته كلها مُنحصرة في التحف فهو يعشقها، أي تحفة جديدة يشتريها ينظر إليها بشغف واهتمام شديد كأنه رأى ابنًا له قد أنجبه لِتَوْهِ (ليس لديه أولاد بالطبع، فهذا مجرد مثال)، أما المحل فليس ضخمًا ولكنه محل عادي وصغير مثل جميع محلات الخان، وبالطبع كما هو معروف

فالمنطقة سياحية وأغلب الزبائن أجانب إن لم يكن جميعهم -فمن سيشتري التحف الباهظة الثمن هذه غيرهم فهي أصلية وقديمة جدًا-، بالطبع لا يوجد آثار بالمحل، لا تُسيئوا الظن، فهو يشتري تلك التحف من أصحابها أنفسهم وليست تحفًا مسروقة، فلتطمئنوا.
الغريب في الأمر أنه منذ بدأت العمل معه والزبائن زادت بشكل ملحوظ لكن بالأمس واليوم نقصت نسبتهم قليلًا! ليس قليلًا فقط بل نقصت للنصف تقريبًا! هل شعروا أنني مرهقة فأرادوا راحتي وألا يُرهقونني أكثر أم ماذا؟ أففف، كالعادة سيُحَملني عاقبة هذا الأمر فهو دائمًا ما ينسى فضلي ويتذكر فقط السلبيات، وما الغريب في ذلك فهو حفيد اليهود ويشبههم كثيرًا!

منذ يومين اشترى تحفة جديدة وكانت ثقيلة جدًا وطلب مني أن أنقلها من مكانها إلى المخزن لأنها أعجبته ولا يريد أن يراها أحد فتعجبه ويشتريها لأنه بالطبع لا يقاوم المال، أثناء ما كنت أنقلها كانت ثقيلة جدًا، كنت أسير محنية الظهر ومن شدة ثقلها شعرت أن ظهري سينكسر بسببها، عندما وصلت إلى المخزن -وهو عبارة عن غرفة صغيرة جدًا داخل المحل- سقطت من يدي دون إرادة مني وظلت تهتز وهي مكانها مُحدثة صوت ذبذبات أحدثت هزة بسيطة في المكان وسببت لي دوارًا وصداعًا فظيعًا ما زلت أعاني منه حتى اليوم، وبالطبع ما إن سمع عجوز خيبر الصوت حتى أتى يهرول وظل يَسُبني ويعنفني وكان سيطردني

بسبب هذا الشيء لكنه راجع نفسه وتذكر أن لا أحد يتحمله غيري فاكتفى بطردي من المخزن فتركته مع تلك التحفة وخرجت.

لا أدري لمَ يُعَظم الأمر لهذه الدرجة! فهي لم تتأثر بذلك السقوط وما زالت سليمة مثلما كانت قبله! لكنه شخص عجيب! فلو كان شخصًا طبيعيًا ما كان سيشتري هذا الشيء! فهي مجرد شيء بحجم البطيخة لكن وزنها كأنه طن، ولكن الأشد غرابة هو شكلها؛ فهي مجرد شيء دائري لونها أسود مرسوم عليها رسمة عجيبة لا أدري ما هي؟ فلم أرَ مثلها من قبل قط وكان مكتوبًا على ظهرها رقمًا....

الرقم هو 15/ 7!!!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الثالث

"كُرة البطيخ"

لا أدري ما الذي ذَكَّرَني بِكُرة البطيخ تلك بهذا الشكل المفاجئ؟ (أقصد التحفة فأنا لا أدري كُنهها فأسميتها كرة البطيخ)؛ كنت في المسجد أُصلي العصر وبعد أن فرغت من صلاتي جلست لأتلو الأذكار كعادتي فتذكرت ما حدث، فهل يا تُرى هذه البطيخة لها علاقة بالحلم أم أنها مجرد صدفة؟ ماذا إذًا؟ هل سأظل أفكر فقط؟ لا بد أن أتأكد، لكن كيف؟ إنه متواجد بشكل دائم في المحل ولا أدري متى يذهب للمسجد، هل يذهب بعد ذهابي أنا أم لا يذهب مطلقًا؟ ولنفترض أنه يذهب فأنا لن أُضيع الصلاة لكي أتأكد، لن يحدث أبدًا، لكن سأحاول أن أختلق عذرًا بأي شكل حتى أدخل المخزن. يا إلهي! كيف نسيت هذا؟! لقد منعني أن أدخله منذ أن أدخلت إليه تلك البطيخة وأغلقه بالمفتاح وعلقه في رقبته، آه منك يا عجوز خيبر!

خرجت من المسجد وذهبت لشراء طعام الغداء لي وله ثم عُدت إلى المحل فوجدته جالسًا كالعادة على كرسيه خلف مكتبه الصغير، متى يُصلي هذا؟ بعد كل صلاة أصل المحل فأجده قد وصل قبلي! أعطيته سندويتشات الفول والطعمية -هما اثنان فقط، ومن الجيد أنه يخالف بخله ويشتريهما من الأساس- ذهبت إلى مكاني لكي

أتناول طعامي؛ "الكشري" (دفعت ثمنه أنا بالطبع؛ فطعامي على نفقتي الخاصة)، كنت سأفتح كيس الصلصة حتى أضعه عليه ولكن وَاتَتني فكرة مفاجئة؛ فتحت الكيس بقوة فسقط فوق خماري وعباءتي فصرخت بصوت عالٍ ففزع وقال: ما بكِ؟

بكيت وحسب ومَثَّلت أنني مُنهارة، فكان في حيرة من أمره ولا يدري ماذا حلَّ بي ولا كيف يساعدني لأهدأ فحاول تهدئتي فهدأت قليلًا وقلت له: لقد سقطت الصلصة على ملابسي فاتسخت بشدة وأريد أن أُنظفها.

فرد بتعجب: يا لك من تافهة! لقد أفزعتِني، اتركينها وستجف وحدها.

قلت له: نعم؟! ماذا تقول؟ إنها واضحة جدًا، كيف يكون مظهري الآن أمام الزبائن؟ لربما يهربون من المحل؛ فالمظهر العام مهم جدًا في عملنا هذا، عامة أنت حُر فهو مَحَلُك أنت لا مَحَلِي أنا.

صُدم من كلماتي وفكر قليلًا ثم قال: حسنًا، كفاكِ ثرثرة واخرجي خارج المحل ونظفيها أو اذهبي إلى المسجد.

قلت (متصنعة الدهشة): كيف بالخارج؟! أنا مضطرة أن أخلع الخمار لكي أنظفه جيدًا، فكيف أخلعه في الشارع إذًا؟! ثم أن المسجد يُغلق مُصلى النساء بعد الصلاة مباشرة، أعطني مفتاح المخزن لكي أنظف الخمار بداخله، سأمسحه فقط ولن أسكب ماءً على الأرض فلا تخشَ على التحف.

لكنه تعصب ورد بغيظ: لن تدخلي المخزن مرة أخرى، أتريدين أن تُسقطي باقي التحف وتكسرينها هي الأخرى؟

قلت له بهدوء وأنا أبكي: لقد كانت مرة دون إرادة مني ولم تنكسر، هل سبق لي أن كسرت شيئًا قبل هذا؟ أرجوك اتركني أدخل لدقائق فقط ولن أقترب من أي شيء، أنسيت؟ إنها أنا، هنية التي تعمل معك منذ خمس سنوات قضيتهم بين المحل والمخزن ولم أُفسد أي شيء مطلقًا من قبل؟

عندما يسمع اسم هنية لا أدري ما الذي يحدث له؟ يلين سريعًا، أيُعقل أن يكون له ابنة اسمها هنية وماتت مثلًا؟ ربما! العجوز الغامض المريب هذا يجعل شَكِّي به يزداد كل يوم أكثر! لكن لا يهم ذلك الآن فالمهم هو التحفة.

قال بنفاذ صبر: هيا أسرعي؛ فالعمل سيتعطل هكذا، ادخلي سريعًا ولا تتأخري، عشر دقائق فقط لو لم تخرجي سأدخل وأخرجك بالقوة، أفهمتِ؟

قلت متصنعة الخوف: حسنًا، حسنًا، لن أتأخر.

سبقني هو وفتح المخزن وقال: هيا ادخلي.

دخلت وأخذت معي زجاجة مياه ومنديلًا ونظفت الخمار بسرعة وأنا لا زلت أرتديه هو والعباءة وهرولت إلى المكان الذي تركت به التحفة ولكن لم أجدها! يا للهول! أين ذهبت تلك؟! مستحيل أن يكون قد استطاع حملها ونقلها من مكانها؛ فأنا شابة ولم أستطع! فكيف يقدر هذا العجوز؟! بحثت عنها في المخزن كله بسرعة ولم أجدها مطلقاً! يا للمصيبة! ماذا سأفعل الآن؟ فلا بُد أن أفهم، هل لها علاقة بأحلامي أم لا؟

ما كل هذا التأخير؟

انتفضت عندما سمعت صوته والتفتُّ خلفي فوجدت عجوز خيبر واقفًا ينظر إلي بغيظ وهو يقول ذلك، فقلت له: كنت أضبط الخمار، آسفة على التأخير فالبُقعة كانت صعبة، أعتذر.

تركته وذهبت مُسرعة، ولكنه تأخر قليلًا قبل أن يتبعني! مؤكد أنه كان يطمئن على البطيخة، لكن أين خبأها يا تُرى؟

حتى نهاية اليوم كان ينظر إلي بين الحين والآخر نظرات يملؤها الشك ولا أدري لماذا؟ فكل شيء بمكانه لم آخذ أي شيء!

أخيرًا انتهى هذا اليوم المرهق نفسيًا وجسديًا! ذهبت إلى بيتي مسرعة حتى أنه لم يكن لدي طاقة لأشتري طعامًا ولم يكُن عندي شهية له مطلقًا، وبمجرد وصولي للبيت ارتميت على السرير ولم أُبَدل ملابسي ونمت مباشرة ويا ليتني لم أنم!! لأنه بمجرد أن نمت حلمت بعدة كوابيس غير مفهومة، فكنت أخرج من حلم أدخل في حلم آخر ولم أستطع الاستيقاظ مهما حاولت كأن هناك من يجذبني للحلم رغمًا عني! حلمت أنني أهرب من شيء لا أراه ولا أدري ما هو؟ وفجأة أجد نفسي في متاهة ولا أستطيع الخروج منها، وبعدها أجد أناس كُثر حولي يريدون ضربي! لم أستطع أن أستيقظ إلا عندما سمعت أذان الفجر ففتحت عيني دون إرادة مني واستمريت لفترة أنظر للسقف نظرات تائهة ولا أدري ما هذا الذي يحدث لي؟ وهل يا تُرى هذه الكوابيس لها علاقة بالحلمين السابقين والبطيخة أم أنها مجرد كوابيس من كثرة التفكير والضغط على عقلي؟ كفاني تفكيرًا لهذا الحد فقد تَلِفَت أعصابي.
نهضت من سريري وذهبت إلى الحمام فتوضأت

وصليت الفجر وتلوت أذكاري وبعدما أنهيتها قمت بتحضير الإفطار لكن لم أستطع تناول لقمة واحدة فما زالت شهيتي منعدمة وأشعر بالإحباط. ارتديت ملابسي ونزلت من بيتي في طريقي إلى العمل. كنت أسير ببطء وأنا أفكر في تلك الكوابيس وأحاول إيجاد تفسيرًا لها، كنت أسير وأنا تائهة لا أشعر بمن حولي وشعرت أن هذا الطريق طويل جدًا ليس له نهاية، لكنني وصلت إلى المحل في النهاية. أفقت من شرودي عندما وجدت الناس مجتمعة أمام المحل ويوجد أيضًا عربات الإسعاف والشرطة والمطافئ لأن المحل كان.... يحترق!!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الرابع

"كابوس، أم؟!"

يا للمصيبة! هرولت مُسرعة إلى المحل وأنا أسأل كل من حولي كيف حدث هذا الحريق ولكن لم يُجبني أحد. ساعتان كاملتان والمطافئ تبذل جهدها في إطفاء الحريق دون جدوى، ما كل هذا الوقت؟! إنه لو كان بيتًا كبيرًا هو الذي يحترق لما أخذ كل هذا الوقت! والمدهش في الأمر أن النار لم تمس أي محل من المحلات المجاورة ولا أي جزء من العمارة التي تحتها المحل! قطعًا لا أتمنى لهم الشر ولكن أتساءل فقط، ألا ترون أن هذا غريبًا؟ فالحريق كان رهيبًا! منذ أن وصلت وأنا واقفة على جانب الطريق مصدومة وأبكي وقدماي لا يستطيعان حَملي؛ فأنا أُعاني من فوبيا الحرائق فأُصاب بالرعب عند رؤيتها، وأيضًا هذا الحريق يعني أنني فقدت مصدر رزقي الوحيد فماذا سأفعل الآن؟ بعدما أنهت المطافئ عملها -وأخيرًا أُخمد الحريق- دخل المسعفون إلى المحل ثم خرجوا حاملين جثة! فأقبلت مسرعة عليهم وكشفت عن وجهها ويا ليتني ما كشفت! لقد كان شخصًا متفحمًا كليًا بشكل مرعب جدًا! خمنت أنه ربما يكون أستاذ سيد، فمن سيكون غيره؟! فهو وحده من يملك مفتاحًا للمحل أو ربما يكون هذا الشخص سارقًا مثلًا! أبعدني الناس بعيدًا عن الجثة؛ فجميعهم قد توقعوا أنه هو وحاولوا

تهدئتي لكن كيف لي أن أهدأ بعدما رأيت هذه الجثة المرعبة؟ كيف أهدأ وقد مات ذلك العجوز؟ حقًا إنه كان يزعجني كثيرًا ولكنه عِشْرة خمس سنوات كاملة، كان أكثر شخص أراه في يومي، كيف أهدأ وقد أصبحت دون عمل والله وحده أعلم هل سأجد عملًا آخر أم لا ومتى وكيف سيحدث؟ أبعدتهم عني وأخذت أصرخ بأعلى صوتي وبأقصى قوة لدي، وفجأة.... صحوت من النوم!!! أيعني ذلك أنه كان كابوسًا ولم يكن حقيقة؟ لكن كيف؟ لقد شعرت أن الأمر حقيقي بشدة! استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وحمدته أن ذلك لم يكن حقيقيًا ثم سمعت أذان الفجر! ما هذا؟! ما الذي صليته منذ قليل إذًا؟ أها تذكرت، لقد كان كابوسًا.

نهضت من سريري ومثل كل يوم صليت وتلوت الأذكار وأفطرت بلا شهية وخرجت إلى عملي ولكن هذه المرة كنت أمشي بسرعة رغبة مني أن أصل إلى المحل في أسرع وقت ممكن، فلو كنت أستطيع الطيران لفعلتها.

وصلت أخيرًا وكنت أتنفس بسرعة، ولكن ما كدت أصل حتى تفاجأت بما رأيته!!! لقد كان المحل يحترق بالفعل وجميع من بالخان مجتمعين يحاولون هم والمطافئ إخماد الحريق! فوقفت مكاني مصدومة لا أستطيع تصديق ما تراه عيناي! أتحقق الحلم بهذه السرعة؟! وبعد أن أخمدوا الحريق اقتربت من المحل فوجدت أستاذ سيد جالسًا على الأرض يبكي وينتحب، اقتربت منه أريد أن أواسيه لكنه عندما رآني قفز من

مكانه ونادى الضابط وأخبره: هذه هي يا حضرة الضابط؛ المجرمة التي أحرقت المحل!

ماذا تقول يا هذا؟ أتمزح! أي محل هذا الذي أحرقته أنا؟ لقد وصلت لتوي!

بالطبع لم يصدقني أحد وأمسكوني ودفعوا بي نحو عربة الشرطة وأخذوني إلى قسم الشرطة ليُحققوا معي! كل هذا حدث وأنا لست مُدركة ما هذا الذي حدث ويحدث وكيف حدث وخاطبت نفسي محاولة تطمئنتها: اهدأي، فمؤكد أن هذا حلم وستستيقظين منه مثل سابقه فلا تقلقي.

ظللت أقاوم محاولة أن أستيقظ لكن لم يحدث! ما معنى هذا؟ أيعني ذلك أن هذا ليس حلمًا؟ معنى ذلك أنني بالفعل قد قُبض علي وسأُسجن؟! وامصيبتاه!!

أخذوني إلى الضابط الذي فتح محضرًا وبدأ بالتحقيق معي وسألني: لماذا دخلتِ إلى المخزن؟ ولمَ خططتِ لهذه الجريمة؟ وكيف قُمتِ بتنفيذها؟ ومتى نفذتيها؟ ولمَ عُدتِ إلى المحل اليوم؟ لِمَ لَمْ تهربي؟ أكان غرضكِ السرقة أم الانتقام؟ لمَ لا تُجيبيني؟ هيا تكلمي!

كنت مفزوعة ومصدومة وعندما نهرني فُزعت أكثر ولم أستطع كبح دموعي وأجهشت بالبكاء والنواح حتى أصبت بانهيار عصبي وفقدت الوعي! أفقت بعد

قليل فوجدتني في.... في غرفتي وعلى سريري!! ما هذا؟ هل أنا ما زلت أحلم أم خرجت للواقع؟ وكيف عُدت للبيت؟! أمعقول أنني كنت أحلم كُل هذا الوقت؟! حاولت أن أنهض لكن لم أستطع أن أتحرك، شعرت كأنني مُقيدة في السرير، حاولت أن أقاوم لكن رأسي فقط الوحيد الذي كان يتحرك في جسدي كله! حاولت أن أصرخ لم أستطع؛ فصوتي لا يخرج من حلقي، التفتُّ يمينًا فوجدت شخصًا واقفًا بجوار السرير! كان هذا الشخص ما هو إلا.... الجثة المحترقة التي رأيتها في الحلم!!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الخامس

"مفاجأة غير متوقعة"

حاولت أن أصرخ لم أستطع، فقد كدت أن أموت رعبًا؛ فلا أنا أستطيع الحركة ولا حتى قادرة على الصُراخ لربما يُنجدني أحد من الجيران لو سمعوا صراخي، لكن دون جدوى فصوتي مكتوم داخلي! لم أستطع فعل أي شيء سوى إغماض عيني بقوة حتى لا أرى منظر ذلك الرجل البشع وحتى لا أرى ما سيصنعه بي. الأمر مرهق نفسيًا بشكل كبير؛ فلكم أن تتخيلوا أن تفتحوا أعينكم فتُصدمون بجثة متفحمة واقفة أمامكم لونها أسود مثل الفحم وعيناها كبيرتان وبارزتان جدًا ولونهما أبيض ناصع وعدستيهما صغيرة جدًا وسوداء، حتى أن رائحته كرائحة اللحم المحترق ويخرج من جسده دخان خفيف! تخيلوا مقدار الرعب الذي كنت فيه وعقلي لا يصور لي غير أنه يريد أن يأكلني فقد كان ينظر لي بغضب، حتى عندما أغمضت عينيّ تخيلته وهو يأكلني بالفعل! لاا!، إن هذا كثير جدًا! ولأني لا أستطيع التحدث فتحدثت بصوت مكتوم داخلي ونَاجيت ربي أن يُنقذني مما أنا فيه.

فجأة شعرت بأن جسدي قد ارتفع للأعلى وسقط على الأرض بقوة فصرخت من الألم! ما هذا؟ لقد خرج صوتي! فتحت عينيّ ببطء ورعب خوفًا من أن أجد

ذاك الفحمة ما زال واقفًا، ولكن عندما فتحت عينيّ وجدتني قد سقطت على الأرض بجوار السرير كما لو أنني كنت أتقلب فسقطت، لكن من شدة السقطة خشيت أن يكون عظمي قد تكسر فحاولت أن أحرك جسدي فوجدته يتحرك فاستندت على السرير محاولة الوقوف ثم جلست عليه قليلًا وأنا لا أدري هل أنا على قيد الحياة أم أنني مِتُّ؟! استجمعت قواي ونهضت من مكاني ونظرت حولي بتوجس فلم أجد الرجل الفحمة، بحثت تحت السرير وفي خزانة ملابسي ولم أجده، هرولت إلى النافذة فوجدتها مغلقة بإحكام، فمن أين دخل إذًا؟! هرولت إلى باب الغرفة ففتحته ونظرت خارجه بحذر فما وجدته أيضًا! خرجت من الغرفة وبحثت في كل مكان؛ في باقي الغرف وفي المطبخ والحمام، بحثت أيضًا تحت الأرائك وفي الأدراج، حتى السجاد بحثت تحته! وعندما لم أجده جلست على الأرض لأستريح قليلًا وضممت رِجليَّ لبطني واحتضنت نفسي أطمئنها وأنا داخلي يرتجف فقلت محدثة نفسي: يا ترى هل كان هذا كابوسًا هو الآخر أم أنه حدث في الواقع؟ ويا ترى هل أنا مستيقظة الآن أم ما زلت أحلم وسأدخل في كوابيس أخرى؟ ولو كنت في وعيي هل أذهب إلى المحل أم سأجده يحترق مرة أخرى ويُقبَض عليّ مجددًا؟ ما هذا الذي يحدث لي ولم؟ كل هذا من تلك البطيخة التي منذ رأيتها وأنا لم أجد الراحة ولو للحظة واحدة.

دموعي نزلت من عينيّ رغمًا عني فتركتها تنزل بحرية ولم أمنعها ولكن تركت التفكير وبكيت فقط، بقيت هكذا لنصف ساعة بعدها أذن الفجر فتوضأت وصليت وتلوت أذكاري ثم ارتديت ملابسي وخرجت، بالطبع لن أفطر، فهل بعد كل ما حدث سأجد شهية؟! عندما خرجت إلى الشارع كنت أنظر حولي إلى البيوت والوجوه محاولة أن أتأكد أنهم حقيقيون وليسوا حلمًا، ها أنا ذا قد وصلت المحل المشئوم لكن تفاجأت عندما وجدته.... سليمًا لا يحترق!! أيعني ذلك أنني الآن في الواقع ولست في كابوس؟ الحمد لله، أخيرًا! هرولت إلى المحل وعندما دخلته وجدت عجوز خيبر قام من جلسته عندما رآني وقال لي بغضب وتلك أول مرة أراه غاضبًا بهذا الشكل: أين كنتِ يا هنية طوال هذه المدة؟ يومان وأنتِ مختفية لا أعلم عنكِ شيئًا، وتغيبتِ عن المحل من غير أن تستأذنيني، وتركتِني وحدي هكذا وقد تراكم العمل فوق رأسي! لقد اعتقدت أنكِ قد هلكتِ أو أنكِ مريضة بشدة وكنت سأبلغ الشرطة لكي يذهبون إليكِ ليكتشفوا ماذا حدث لكِ؟!

من شدة صدمتي لم أستطع الرد وأخذت أنظر إليه بتعجب والدهشة تعلو ملامحي وقد فغرت فاهي على أشده وأنا مصدومة ورأسي يكاد ينفجر من كثرة التفكير. يومان! كيف؟ لقد كنت هنا بالأمس! أيعني ذلك أنني أحلم منذ يومين لم أستيقظ قط؟ أم أنها ليست

أحلامًا وكنت أُهلوس! أم أنها كانت واقعًا! لا، ليس طبيعيًا كل هذا الذي يحدث لي! لقد تعبت.

صرخ بي مرة أخرى فأفزعني وهو يسألني: أين كنتِ. لكن أعصابي لم تتحمل كل هذا وفقدت الوعي!

أفقت بعد قليل فوجدتني جالسة على كرسي في المحل وسيد العجوز كان واقفًا أمامي ويبدو على وجهه الاضطراب وقال لي: هل أنتِ بخير يا بُنيتي؟ ماذا بكِ؟ سامحيني، لم أقصد تخويفك.

ما هذا؟! إنها أول مرة أجده حنونًا هكذا! أجبته مسرعة كي أطمئنه وقلت له: لا تخف، أنا فقط مريضة قليلًا ولم أتناول الطعام منذ يومين لذلك فقدت الوعي، مجرد هبوط وسأكون بخير إن شاء الله.

رد بنبرة باردة: جيد، جيد، لكن أخبريني يا هنية أين خبأتِ التحفة؟

نظرت له بدهشة كبيرة وقلت له: أي تحفة؟!

رد بهدوء وقال: التحفة يا هنية التي تُشبه البطيخة! أين خبأتِها وماذا عرفتِ عني يا هنية؟ تكلمي واعترفي لي أنا أفضل، بدلًا من أن يجعلوكِ تعترفين بالقوة.

أجبته بخوف وقلت له: من هم هؤلاء؟ من تقصد؟! علام تتحدث؟ لا أفهم! هل أنت ساحر؟

رد باندهاش: ساحر! هل أنتِ مجنونة أم ماذا؟

صرخت به: أجل أنت ساحر وتحاول تخويفي بتلك الكوابيس ومن المؤكد أنهم جن من خدمك وتريد تخويفي بهم حتى تعرف أين التحفة، أم أنك تريد الخلاص مني؟ على العموم اطمئن؛ فأنا لا أعرف مكانها، منذ وضعتها بالمخزن لم أرها مرة أخرى، فلتتركني وشأني فلقد تلفت أعصابي وتعبت أريد أن أنام مرتاحة، ولو أردت طردي فاطردني، ولا تخف لن أخبر أي أحد بحقيقتك.

ضحك بصوت عالٍ ضحكة مرعبة وقال: يبدو أنكِ تهلوسين، وهذا من تأثير التحفة التي سرقتيها، فلترجعينها إلي وسترتاحين من كل هذا.

أخبرته بعصبية: قلت لك لم أسرقها، فأنا لم أستطع حملها وقتها فكيف أسرقها؟! فلتسأل الجان الذين يخدمونك واجعلهم يبحثون لك عنها ويعرفون مكانها.

رد بنفاذ صبر: أي جان يا حمقاء؟ أما زلتِ تعتقدين أنني ساحر أيتها الغبية؟! أنا لست بساحر فلتفهمي ذلك.

قلت له بشك: إذًا ما تكون أنت؟!

اقترب مني ونظر في عيني وقال بصوت كالفحيح: أنا لست ساحرًا.... أنا عميل سري للموساد....

Hebatullah Rizk Essa

الفصل السادس

"كشف الأسرار"

من شدة الصدمة لم أدرِ ماذا أقول! يا لهول ذاك الخبر! الموساد! يا للمصيبة! أيعني ذلك أني أعمل منذ خمس سنوات مع جاسوس، وأتعيش من مال حرام؟! خمس سنوات أعاون الذي يضر بلادي وأنا لا أدري وساهمت في الارتقاء بعمله! وأنا التي كنت أعتقد أنه مجرد تاجر أنتيكات لكنه كان متخذًا هذا المحل ساترًا يُخفي به هدفه الأساسي! ولأنني حمقاء سألته سؤالًا لا يَمِتُ للموضوع بأية صلة: من صاحب الجثة المحترقة؟

نظر لي نظرة معناها (واأسفاه! لقد جُنت الفتاة.) وقال: أية جثة تقصدين أيتها المعتوهة؟ لا تلعبي بعقلي وتغيرين الموضوع وأخبريني أين البطيخة؟

وفجأة تغيرت نبرة صوته من الحدة إلى التوسل وقال لي: أرجوكِ أخبريني أين هي؟ فإن لم أُعُدِهَا سيقتلوننا أنا وأنتِ ببشاعة!

نظرت له بخوف وقلت له: من هم هؤلاء؟ وما شأني أنا؟ أتعمل حقًا مع الموساد؟!

صرخ بي وقال: أتهزأين بي؟ وماذا كنت أقول منذ الصباح إذًا؟ هيا أخبريني سريعًا عن مكانها قبل أن يأتوا وينتهون منا لو لم نجدها ونُعطِها لهم، لا بد أنهم في طريقهم إلينا.

دفعته بعيدًا عني ونهضت من على الكرسي وقلت له: ابتعد عني فأنا لم آخذها، ومن المؤكد أنك أنت من سرقها وتريد أن تتهمني أنا لتنجو أنت من عقابهم وتكسب التحفة! عندما دخلت المخزن لأبحث عنها لم أجدها وخمنت أنك خبأتها مني حتى لا أعرف الحقيقة، والآن تريد أن تتهمني بالسرقة! فلتذهب وتبحث عنها بعيدًا عني.

سألني بتعجب: متى دخلتِ المخزن؟ فمنذ وصلتني التحفة وأنا لم أفتحه قط! آه، تقصدين ذاك اليوم عندما دخلتيه لتنظفي ملابسك! آه يا ملعونة! أيعني ذلك أنكِ كنتِ تنوين سرقتها بالفعل؟

قلت له باستهزاء: أسرق ماذا؟ هذا الشيء العجيب! إنه مجرد كرة تشبه البطيخة ليس لها أية فائدة ولا قيمة ولا أدري سر اهتمامك المبالغ فيه بها! ولمَ سأسرقها؟ ماذا سأفعل بها؟ ولمن سأبيعها؟ من ذاك المجنون الذي قد يشتريها؟ أنا فقط كنت أريد أن أعرف

ما علاقتها بأحلامي ولمَ منذ أن أحضرتها أنت إلى هنا وجَعَلتني أنقلها للمخزن وبعد أن سقطت مني أرضًا وخرجت منها تلك الذبذبات وأنا أرى كل تلك الكوابيس المرعبة؟

سألني بفضول: أيَّة كوابيس؟

قصصت عليه كل الذي حدث لي منذ حَمَلت تلك البطيخة حتى هذه اللحظة وكان يسمعني بفضول ودهشة وقال لي: ما هذا التاريخ؟ وأين رأيتينه؟ لقد فحصت البطيخة جيدًا ولم أجد عليها أيَّة أرقام أو رسومات، حتى أنها ليست بتحفة من الأساس، إنما هي كبسولة لا تَمِت إلى عملنا بأية صلة مطلقًا، لقد وصلتني مع باقي التحف للتمويه لا أكثر.. ماذا قلتِ؟ أقلتِ أنها اهتزت عندما سقطت وخرجت منها ذبذبات؟ يا للمصيبة! هل تعلمين ما معنى ذلك؟

قلت له ببلاهة: وماذا سيكون معناه؟ إنها مجرد شيء معدني ومن البديهي عندما تسقط أن ينتج عنها ذبذبات.

رد وهو يَجِزُ على أسنانه: يا غبية! إنها ليست مجرد كرة معدنية، إنها كبسولة بها مادة كيميائية تسبب هلاوس وخيالات بشعة تجعل من يستنشقها يُصاب بالجنون من شدة الهلاوس أو يقتل نفسه أو من حوله ولربما يأكلهم أيضًا!

أمسكته من تلابيبه وأخذت أهزه بشدة وأنا أقول له: ماذا تقول يا مجنون؟ أيها الملاعين! أجلبتم تلك الكبسولة الملعونة إلى هنا لتدمرونا؟ ومن يدري ربما من سرقها قد فتحها! ولو فعلها لكانت النهاية؛ فبذلك ستدمرون البلد بأكملها!

قال: اهدأي يا فتاة؛ فتلك الكبسولة لا يوجد بها غاز فقط، هذا الغاز هو مجرد حماية لما بداخلها حتى إذا حاول أحد ما سرقتها سيصيبه مثل ما أصابك، فنحن نفعل ذلك مع كل الأشياء المهمة التي تُبعث لعملائنا في كل مكان حتى نحافظ عليها وأيضًا لا تُفتح تلك الكبسولات إلا بطرق خاصة لا يعرفها غيرنا.

قلت له: وماذا يوجد بداخلها إذًا؟

قال: بالطبع لا أدري؛ فهي سرية للغاية ولا يستطيع فتحها غير الهدف المحدد، نحن فقط علينا توصيلها إلى بعضنا البعض وأن نحميها وفقط.

قلت له: أتعتقد أنني سأصدق كلامك هذا؟ أتعتقد أنني مجنونة؟ هيا أخبرني ماذا يوجد بداخلها وكيف أتعالج من أثر تلك المادة؟

قال لي: صدقيني لا أعلم؛ فنحن العملاء الصغار لا نطَّلع على المعلومات الهامة حتى لا نُخبر بها أحدًا لو تم كَشفنا.

قلت له: وما الذي جعلك تكشف نفسك لي؟

أزاح يدي من على ملابسه وقال بهدوء: لأنني كنت أعتقد أنكِ أنتِ من سرقها وكنت أرغب أن أُطلعكِ على خطورة الموقف فلربما تخافين وتعترفين، ولكن طالما لا تعلمين مكانها فيجب إذًا أن.... أتخلص منكِ وأهرب قبل أن يتخلصوا هُم مني.

لم أستفق من دهشتي إلا وقد غرز خنجرًا في قلبي فسقطت على الأرض أصرخ من شدة الألم خاصة أنه

قد انتزع الخنجر وتركني أتضرج في دمائي وهرول إلى ركن في المحل وأمسك حاوية بنزين وأغرق به أرضية المحل وفتح الباب -الذي كان قد أغلقه عندما فقدت الوعي- وهرب، لكنه قبل أن يخرج أشعل عود ثقاب وقذفه داخل المحل وأغلق بابه خلفه بالمفتاح واختفى، وفجأة اشتعلت النيران في المحل كله واقتربت مني فتلوت الشهادتين وانتظرت مصيري المحتوم، وهنا أدركت أن الجثة المحترقة التي كانت تظهر لي ما هي إلا..... أنا!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل السابع
"الجثة المحترقة"

مرحبًا. أنا هنية. هل تذكرتموني؟ ماذا؟ تتساءلون كيف أُخاطبكم وأنا قد احترقت في المحل وَمِنَ المُفترض أنني ميتة الآن؟! تقولون أنني شبح هنية؟ ما هذا الهراء؟! لا يوجد شيء اسمه شبح، أتمزحون؟! إنها أنا حقًا ولستُ شبحًا. أعلم أن فضولكم شديد وتَوَدُونَ أن تعرفوا كيف لم أَمُتْ، معكم حق؛ فالحريق كان كبيرًا والتهمتني النيران التهامًا حتى أصبحت كالجثة المحترقة بالفعل، ولكن لَكُمْ أن تحزروا أن من احترقت هذه لم تكن أنا! نعم ليست أنا؛ لقد كُنت أحلم ككل مرة، ولكن هذه المرة لم أستيقظ بَعدْ؛ فما زلت في الحلم داخل الحريق وسأقص عليكم ما حدث:

كنت أحتضر وأرى النيران تشتد وتقترب مني حتى أمسكت بي والتهمتني فاستسلمت وتَلَوْتُ الشهادتين، ولكن قبل أن أُغمض عَيني رأيتها قادمة من قلب النيران تَسير ببطء وقد ملأ عينيها الحزن والبكاء، نعم إنها هي: الجثة المحترقة! لم أرتعب هذه المرة بل أشفقت عليها واعتقدت أنها هي نفسها أنا بعد أن صعدت روحي لبارئها وأصبح هذا شكلي بعد أن احترقت. اقتربت مِني حتى وقفت أمامي مباشرة وكانت تنزف دماءً سوداء تخرج من جهة قلبها فتيقنت أنها

أنا؛ نفس الجرح ونفس الجسد المحترق مؤكد أنها أنا، ولكن عندما وَقَفَتْ أمامي نَظَرَتْ إلي بحزن شديد وبكت بُكاءً مريرًا ثُم أَلْقَتْ بنفسها فوق جسدي فَوَجَدْتُ نفسي أنتفض وشهقت بقوة ثم! ثم ها أنا أقف على قدمي مرة أخرى، وأنظر للأرض فأرى جثة مُحترقة قد تفحمت وتصاعد منها الدخان، والمكان حَولي قد انطفأ وأصبح كُل ما فيه رمادًا، والجدران اسودت من شدة الحريق.
نظرت للجثة باندهاش واستنبطت أن الجثة الجاثمة على الأرض هي جُثتي وأن الواقفة هي روحي، ولكن لِمَ لَمْ تصعد للسماء؟ إنها لم تنزل للأرض السابعة حتى! فما معنى هذا؟ لا السماء تَقْبَلُني في النعيم ولا الأرض السابعة قَبَلَتْني في جحيمها! فهل سأظل هائمة هكذا في الأرض إلى يوم الدين أم سأعود إلى جسدي بعد الدفن؟ وهل سأُدفن أصلًا؟ ألم يُلاحظ أحد ما حدث حتى الآن؟ أمعقول هذا؟! يا الله! ما هذه الحيرة التي أنا فيها؟ لم تَطُل حِيرتي كثيرًا؛ فقد فَتَحَتْ الجثة عينيها فجأة فأرعبتني لِوهلة قبل أن تَقِفَ على قدميها مرة أخرى أمامي ونَظَرَتْ إليّ نظرات خاوية قبل أن تنطق وتقول: هنية.

خرج صوتها بعيدًا وضعيفًا كأنه يخرج من أعماقها ثم تابعت: لِمَ العجب يا هنية؟ أتعتقدين أنك أنا؟ لا تتعجبي كثيرًا؛ فأنا لست أنت، وإن كان لنا نفس الاسم.

جَحظت عيناي من شدة دهشتي وسألتها: ماذا؟ أنت أيضًا اسمك هنية! هل أنت صاحبة المحل إذًا؟

ضحكت ضحكة صغيرة بصوت مجروح قبل أن تُجبني والدموع في عينيها: نعم أنا هي. أنا تلك الهنية التي لم تكن هنية أبدًا؛ فالاسم هنية ولكن حياتي كانت تعيسة للغاية رغم أنني كُنت ذات مال وجمال وحسب ونسب ولكن لم أشعر قَطْ بذلك النعيم، كُنت وحيدة؛ فقد ماتت أمي وأنا طفلة ذات خمس سنوات وما لبث أبي أن لحق بها وتركاني لعمي وزوجته ليتكفلا بي، ولكنهما ماذا فعلا بي؟ لقد أدخلاني مدرسة للراهبات -تُشبه المدارس الداخلية في هذا العصر- ليتخلصا مِني ويتنعما هما بأموالي. لم يكتفيا بإبعادي عن طريقهما فحسب، ولكنهما كانا يدفعان أموالًا زائدة للمدرسة ليعذبوني عوضًا عنهما، فكانوا يَكيلون ليّ العذاب، لم يرحمني أحد منهم، كلهم كانوا يعاملونني معاملة سيئة ويعاقبونني على أتفه الأسباب بأبشع الطرق؛ بالضرب تارة والتعنيف الشديد تارة أخرى، رغم تفوقي يجعلونني أرسب كل عام رغم أن إجاباتي كانت نموذجية! ومع ذلك لم أكف عن المذاكرة والاجتهاد، رغم نشاطي في الفصول الدراسية وانتباهي وحماسي للإجابة إلا أن المعلمات كُنَّ يمنعنني من الإجابة، في شدة البرد الكل نائم ولكنهم يجعلونني أقف في الحديقة ليلًا تحت المطر وممنوع الجلوس فأظل طيلة الليل

أرتجف وأبكي وربما نمت وأنا واقفة مكاني، في أيام الصيف وقت القيظ يُرغمنني على الوقوف في الساحة تحت الشمس وأنا أرتدي غطاءً معدنيًا على رأسي، فَلَكِ أن تتخيلي مقدار الألم الذي أشعر به في رأسي عندما تشتد حرارة الشمس وتُصيب الغطاء فيُصبح كالجمر، وغير ذلك الكثير من أنواع العذاب ولم أعلم يومًا لماذا؟ والغريب أنني لم أمت فأستريح، كنت أمرض وأُشفَى فأعود للعذاب مرة أخرى. كُلَّ هذا جَعلني فتاة مُنغلقة على نفسها لا تُكلم أحدًا ولا أحد يُكلمها؛ فقد منعوا أي طالبة أن تتحدث إليّ حتى لا تُعَاقَبَ مِثلي فاجتنبنني جميعهن، حتى الطالبات الجدد يُحذرونهن المعلمات من الاقتراب مني قبل أن يقبلوهن في المدرسة، وعللوا ذلك بأنني فتاة شرسة وأعامل الجميع بفظاظة، وأنني أيضًا غير مهذبة ولا أحترم أحدًا، وفاشلة وكل من يقترب مني يصبح مثلي، وعندما يسألونهن: لماذا إذًا تتركونها بالمدرسة؟ فَيُجَبْنَهم: أنهن يأملن في إصلاحي ذات يوم.

كل هذا جعل كل الطالبات يبتعدن عني فلم أجد صديقة واحدة أرتمي بأحضانها وتُهَون عَلَيّ ما أنا فيه، حتى المعلمات كُنَّ جميعهن يُعاملنني بقسوة شديدة. كان لي غرفة فردية ضيقة وكئيبة ليس بها ضوء لمصباح أو نافذة تجلب النور والهواء لكي لا أستطيع أن أرى لأستذكر دروسي، ولم يكن لدي إلا قطعتي ثياب؛ واحدة للنوم وواحدة للدراسة، وممنوع أن أستحم إلا كل

أسبوعين لتنفر الطالبات من رائحتي ويَضمنَّ ألا يقترب مني أي منهن؛ فكيف يقتربن وأنا نفسي أكره رائحتي وأنفر منها؟ تَقرح جسدي بسبب قلة الاستحمام وبسبب عدم تبديلي لملابسي؛ فأنا أرتديها يوميًا ولا أغسلها إلا يوم استحمامي والذي يكون يوم النجاة بالنسبة لي، لكنهن يمنعنني أن أستمتع بالماء؛ فمسموح لي بعشر دقائق فقط لأستحم وأغسل ملابسي.

مَرّتَ عشر سنوات على كل هذا العذاب وها أنا الآن بعمر الخامسة عشر ولم أَعُدْ لبيتي مُطلقًا؛ فالمدرسة نَظَلُ بها طوال العام ومسموح فقط بخمسة عشر يومًا في العام لنقضيها في بيوتنا مع العائلة، ولكن لم تكن من حقي تلك الإجازة! فلم يأت عمي وزوجته لزيارتي أبدًا طوال هذه المدة، وفي وقت الإجازة يسافران خارج البلد. بقيت هكذا أتجرع ألوان العقاب وأتعذب وحدي، لم يَمنع عني هذا العذاب أي مخلوق وتركوني جميعًا أكابد وَحدتي وعذابي دون يد تحنو أو قلب يرفق، حتى أتت هي.. تلك الرحمة.. معلمتي الحبيبة؛ سلوى....

الفصل الثامن

"ماما سلوى"

هنية الكبرى -سأسميها هكذا حتى لا يُصيبكم الشتات- ما كادت تَذْكُر اسم سلوى حتى أجْهَشَتْ بالبُكاء، حاولتُ تهدئتها لم أستطع فَتَركتها تُخرج ما بقلبها من آلام.
بَكت قليلًا ثم تَابَعَتْ: ماما سلوى، هكذا كُنت أُناديها كما طلبت مني، كانت هي حقًا اسم على مُسمى؛ فقد كانت نِعْمَ السلوى لقلبي وروحي اللتان أنهكتهما الوحدة، مُنذ أول يوم لها بالمدرسة -فقد عَينوها مُعلمة للغة الإنجليزية- منذ أن رأتني أحبتني، لم تُصدق ما قُلْنَه عني وتحذيراتهن مِني فقررت أن تراني بِعَيّنَيّ قلبها لا بِعَين من حذرنها مَني، في الفصل سألتني وكانت تلك أول مرة يهتم أحد بي ويُلاحظ وجودي، عندما أجبتها انبهرت؛ فها أنا ذا متفوقة، لِم ينعتنني بالفشل؟ تَقَرَبت مِني ومَدت إلي يد الرحمة والقلب الحنون اللتان افتقدتهما كثيرًا، علمتني التطريز وأمور الدين؛ فلم أكن أعلم ما ديني! فأصبحت مسلمة مثلها، وحين أكون وحدي أقضي وقتي في الصلاة وذكر الله فيُؤنس وحدتي، كانت تدافع عني كلما عذبْنَني، عَانَدَتْ قوانينهن ورَفَضَتها، حدثت الجميع عني؛ معلمات وطالبات محاولة أن تبين لهن كم أنا لطيفة ولست كما تَدَّعُين، لكن دون جدوى! كانت تُحضر لي الحلوى وطعامًا نظيفًا، جَلَبَت لي ملابسًا جديدة، وكانت تأخذني

إل. الحمام لأستحم وإذا اعترضت أي منهن كانت تتعارك معهن. أحلى أيام عمري قضيتها معها منذ أتت، لكنها لم تَسْلَم منهن ولا من أَذَاهن؛ فقد حاولن كثيرًا معاقبتها، وأرسلن فيها شكاوي كثيرة للإدارة حتى يطردونها لكن لم يحدث؛ فَكُنّ يُخِفْنَها بأن يَضَعن في غرفتها فئرانًا تارة وثعابينًا تارة أخرى، ولدغها ثعبان ذات مرة لكنني أنقذتها منه. لم يرحمنها من ألسنتهن واتهامها بِتهم بشعة، حتى أنهن نعتنها بالجنون وفي النهاية أبلغن الإدارة أنها تقوم بتعذيبي وأن كل ما فعلنه بي هي من فعلته فقاموا بطردها من العمل بشكل عام وليس من المدرسة فقط، حاولتُ أن أُدافع عنها منعنني بالقوة بأن أعطينني أقراصًا منومة رغمًا عني أبقتني نائمة حتى انتهى التحقيق وطُرِدَتْ قبل أن أودعها. بكيت كما لم أبك من قبل، انهرت وتوحدت في غرفتي أكثر ورفضت الخروج وفقدت شهيتي ورغبتي في الحياة؛ فقد ذهبت من أعطتني الأمل وجعلتْ لحياتي معنى. حاولتْ كثيرًا أن تزورني منعنها، كنت أشعر بقدومها وأنتظرها قُرب باب المدرسة فتراني وأراها من بعيد ولكنهن يمنعانا من المقابلة عن قرب. عندما مَلّلن من ذلك أخبرنها أنني قد تُوفِيتُ وأخبروني أنها قد تُوفيَتْ لكن قلوبنا كان عندها أمل أن ذلك لم يحدث وأننا سنتقابل يومًا ما.

مرت خمس سنوات بعد ذلك وأخرجوني من المدرسة بعمر ال21 عامًا وعُدت إلى بيتي الذي لم يَعُد بيتي بل

كنت فيه كالضيف غير المرغوب به؛ فقد مات عمي، وزوجته وبناته الثلاثة كُنّ يعاملنني بقسوة شديدة، منعنني من الخروج، لا آكل إلا لقيمات مرة في اليوم، لا ملابس فكل ملابسي هي ملابسهم القديمة ويمزقنها قبل أن تُعطينها لي فكنت أرتديها ممزقة فقد منعن الخادمات من إحضار الخيط لي، حتى أنهن حذرن الخادمات من أن يتكلمن معي وإلا سيُعَاقبن. تمنيت الموت أكثر من مرة لأتخلص من هذا العذاب، وبالفعل حاولت التخلص من حياتي أكثر من مرة بعدما قابلتها مرة أخرى.. ماما سلوى، أتت لبيتنا؛ لأنها عملت في بيع الأقمشة بعد طردها من المدرسة لتستطيع أن تعيش، فور أن دخلتْ من الباب عرفتها وعرفتني، نعم لقد تغيرت ملامحنا لكن قلوبنا تعارفت، فهرولت إليها، احتنضتها حضنًا أطفأ نيران شَوْقِي لها وأراح قلبي المكلوم، بكينا كثيرًا والجميع ينظر إلينا في دهشة، ولَما عَلِمن أنها من كانت تحنو علي طردنها ومنعنها من الاقتراب من البيت مرة أخرى وإلا سيقتلونها هي وطفلتها الرضيعة التي كانت تحملها بين ذراعيها، فقلت لها ألا تعود وقلبي وأَعْيُنِي يفيضون من الدمع. قلت لها في آخر حديث بيننا: لن أنساكِ أبدًا أمي الحبيبة سلوى، ستبقين في قلبي إلى الأبد.

فقالت لي وصوتها يختنق من البكاء: وأنا لن أنساكِ يا طفلتي الغالية هنية الكبرى، سأظل أتذكرك كلما ناديت

ابنتي هنية؛ فقد أسميتها على اسمك حتى لا يَنْفَك لساني عن مُناداتك حبيبتي.

ثم ودعتني ورحلت للأبد ولم أرها منذ تلك اللحظة.

قلت لها باندهاش شديد: ابنتها هنية!! سلوى!! إن مُعلمتك إذًا هي.. أمي!!!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل التاسع

"حقيقة"

صَمَتْنَا لوهلة نظرتُ فيها لهنية الكبرى باندهاش وحيرة وعقل تملؤه التساؤلات، فنطقتُ أخيرًا وقلت لها: أأمي هي نفسها المعلمة التي تحكين عنها؟ كيف؟! لم تحدثني عنك أبدًا!!

أجابتني هنية الكبرى: كيف تخبرك وقد هددوها بقتلك؟ لقد خافت أن تفقدك كما فقدتني.

قلت لها: ولماذا أتيتِ إلي الآن؛ فقد ماتت أمي منذ خمس سنوات، ماذا تريدين مني؟ وكيف احترقتِ بهذا الشكل أنت أيضًا؟

ردت هنية الكبرى: اتركيني أكمل باقي قصتي لتفهمي كل شيء.

قلت: حسنًا تفضلي، سأصمت.

تابعت هنية الكبرى: بعد أن تركتني أمك حزنت بشدة وحاولت قتل نفسي مرارًا ولكنهن كن ينقذنني ولا أدري لماذا؟ فهن لا يحبونني! بعد ذلك غيرن معاملتهن لي قليلًا فأصبحن يأخذنني معهن كلما خرجن خارج المنزل وأصبحت أرى العالم الخارجي الذي ما كنت أتيقن بوجوده، فلم أرَ في حياتي سوى المدرسة وهذا القصر. ذات يوم أخذنني معهن إلى محل أنتيكات، وعندما دخلت وقع نظر صاحب المحل الشاب عليّ فابتسم لي وحاول التحدث معي ولكنني كنت مُرتبكة بشدة؛ فتلك أول مرة أرى فيها رجلًا وأحادثه. تعددت زياراتنا له بحجة شراء تُحف جديدة للقصر الذي يجددنه. رآني كثيرًا، وكل مرة كان يُحاول الحديث معي حتى أنه في يوم في محله انتهز فرصة انشغال بنات عمي في مشاهدة التحف واقترب مني وهمس بأذني قائلًا: أحبك يا هنية.

ارتجف قلبي وزاد نبضه وشعرت أنني بشر لأول مرة في حياتي. ابتسمت وفرحت وعندما عُدت إل. البيت دخلت غُرفتي وظل ذهني يردد تلك الكلمة مرارًا وتكرارًا، وتزداد سعادتي كلما تذكرته وهو يقولها وتمنيت لو نتزوج ولكن هل سيسمحن لي بذلك؟ وبالفعل في اليوم التالي تفاجأت بزوجة عمي تُخبرني بأنه قد تقدم ليطلبني للزواج وأنها وافقت وأن حفل الزفاف بعد أسبوع وسنقيم معهن هنا بالبيت. تفاجأت ولكن لم أعترض فالأهم أنني سأتزوج شخصًا يُحبني.

فرحت جدًا وتمنيت لو أن ماما سلوى كانت معي في تلك اللحظة لكانت ازدادت فرحتي. كالعادة مجرد ما ذَكَرَتْ اسم أمي حتى أجهشت بالبكاء وارتفع نحيبها وبكيت أنا الأخرى فقد أوحشتني أمي كثيرًا وصمتنا قليلًا لا نفعل شيئًا إلا البكاء، ثم حدثت نفسي قائلة: ما معنى ذلك؟ وكيف؟ أمي هي نفسها مُعلمة هنية الكبرى والتي كانت تُدافع عنها وتُحبها كل هذا الحب! أيعني هذا أن حبيبتي أمي قد عانت وتعذبت كل هذا العذاب من أجل هنية! كيف تحملت كل هذا وتركت عملها من أجل فتاة لا تربطها بها أي صلة؟

وكأن هنية الكبرى سمعت أفكاري فقالت لي: لا تتعجبي يا هنية، نعم أمك هي ماما سلوى. أنتِ الحبيبة ابنة الحبيبة، أختي التي لم تلدها أمي. أتعلمين يا هنية أنكِ لم تموتي ولم تحترقي، وأن كل ما حدث هذا حدث لي أنا مع بعض الاختلافات؛ فكل تلك الكوابيس التي رأيتِها هي مقدمة لما ستعرفينه بعد ذلك حتى تتأهلي لمعرفته بهدوء، سيد ليس جاسوسًا، ولا توجد كبسولة، ولا أي شيء من هذا، إن كل الذي رأيتِينه من قبل هي هلاوس صورها لكِ عقلك بعدما رأيتِ أول حلم والذي كان؛ "ستموتين يوم 15/ ٧"، أتعلمين ما هذا التاريخ يا هنية؟ إنه اليوم الذي احترقت فيه أنا حتى الوفاة، لم يكن يومًا عاديًا؛ فقد كان يوم زفافي! نعم، لا تتعجبي؛ فاليوم الذي تنتظره كل فتاة كان يوم

هلاكي، لم يكن حادثًا عارضًا بل حادثة مُدبرة دَبَّرَتها زوجة عمي وبناتها الثلاثة وابنها! زوجي الذي تزوجته للتو، نعم فزوجي هو ابن عمي ولكِ أن تتفاجئي؛ فزوجي هذا ما كان إلا من تُسَمِّينَه أنتِ عجوز خيبر... سيد!

الفصل العاشر

"مفاجأة"

كانت دهشتي كبيرة عندما سمعتها تقول أن زوجها هو سيد فسألتها: ألهذا اسم المحل هو "هنية"! ولكن كيف يكون هو من قتلك وكتبه باسمك؟! وكيف يكون ابن عمك؟ ألم تخبريني أنك قابلتينه صدفة في محله؟ كيف يكون ابن عمك ولم تقابليه من قبل؟!

قالت هنية الكبرى: سأخبرك كل شيء بالتفصيل؛ كان كل ذلك مدبرًا من زوجة عمي وأولادها حتى يجعلوني أحب سيد ويستطيعون أخذ مالي كله لهم، استغلوا أنني لم أره مطلقًا؛ فمنذ دخلت المدرسة لم أعد إلى البيت قط إلا بعمر ال21، وفي هذه الأثناء كان سيد مسافرًا يعيش في باريس للدراسة وعندما عاد طلبت منه أمه أن يعيش في مكان آخر لفترة قصيرة حتى لا أعرف من يكون، ثم جعلته يفتتح محلًا للأنتيكات وكان هذا المحل من أموالي بالطبع، وعندما تقدم لي وافقن لأن هذه خطتهم منذ البداية، حددوا موعد الزفاف وكنت أُزَفُ له وأنا لا أعلم أنه ابن عمي حتى انتهى الحفل وانفض المعزومون ودخلنا إلى البيت، وقتها أغلقوا الباب والتفوا حولي وأخبروني بالحقيقة وحكوا لي كل شيء، بل ما زاد الطين بلة أن ما وَقَّعْت عليها ليست

قسيمة الزواج بل هي عقود تنازل عن كل أملاكي لهم!
نعم لم أتزوج بل جعلوني أبيع كل أملاكي رغمًا عني، ثارت ثائرتي وغضبت بشدة وحطمت كل شيء حولي وهممت أن أضربهم ولكن واحدة منهن ضربتني على رأسي وعندما أفقت وجدت نفسي في مخزن المحل مقيدة إلى كرسي وهو أمامي وحكى لي كل شيء؛ لقد قتلوا أبي وحاولوا التخلص مني كثيرًا ولكنهم فشلوا، حتى عقاب المدرسة لم يقتلني لذا دبروا حيلة زواجي حتى أوقع التنازل، حتى من حضروا الزفاف كانوا أجانب ليسوا من البلد وأوهموهم أنها حفلة تخيلية وليس زفافًا حقيقيًا بل هو جزء من عرض للتسلية، وبعدما ضمنوا أنهم حصلوا على كل ما أملك ما بقي لهم إلا الخلاص مني. فجأة وجدت سيد يمسك بخنجر وغرزه في قلبي مُباغتةً وقبل أن أستدرك ما حدث صب فوقي البنزين وأشعل النار في جسدي حتى احترقت بالكامل وهو ينظر إلي ويضحك بفرحة كبيرة، فقلت له: لن أتركك وسأنتقم يومًا ما.

ازداد ضحكه وبعد أن تأكد من موتي أحرق المكان بالكامل ليتأكد أنني انتهيت حقًا وعاد إلى بيته، وفي الصباح أبلغته الشرطة أن المخزن احترق -والذي هو ما نقف فيه الآن- وأخبروه أنهم وجدوا جثة فتاة فأخبرهم أنها ربما تكون أنا فقد هربت من المنزل وتوعدتهم بالانتقام لأنه رفض أن يتزوجني. فأُغلِق

ملف القضية وبعد فترة بنى مكان المخزن محلًا جديدًا وأسماه أنتيكات هنية لربما يقصد أنقاض هنية.

سألتها: أنا لا أفهم، كيف قابلتِ أمي وهي تحملني وعمري سنة وأنا عمري الآن 21 عامًا أي مضى أكثر من عشرين عامًا وكنت أنت وسيد شابان في ذلك الوقت لربما عمره كان وقتها 20 عامًا وعمرك كان 21 أليس كذلك؟ أي أنه الآن في منتصف الأربعينات لكن أنا أعمل مع شخص عجوز جدًا ربما قارب التسعين.

ضَحِكَتْ ضحكة قصيرة وقالت: أنتِ لم تعملي قط عنده يا هنية ومن رأيتينه هذا وكل ما رأيتِه كل ذلك وأنتِ ما زلتِ في كابوس أو فلنقل غيبوبة فأنتِ لم تَفِيقِي بعد من غيبوبة الحادث.

قلت لها بدهشة: أي حادث!!

قالت: الحادث الذي تُوفِيَّ فيه أبواك وأُصبتِ فيه أنتِ وما زلتِ في غيبوبة من وقتها منذ شهرين.

فغرت فاهي من الدهشة وقلت لها: ماذا تقولين؟! غيبوبة! شهرين! كيف كل هذا؟ إنكِ تمزحين.

قالت: لا أمزح بل هي الحقيقة. والآن حان الوقت لننتقم ممن قتل أبواك وأبواي وقتلني... وهم سيد وأهله.....

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الحادي عشر

"كشف المستور"

تفاجأت مما قالت وسألتها بدهشة: تقولين قتلوا أبواي وأبواك وأنتِ! إن من قتلك هو سيد، ومن قتل أباكِ عمك وزوجته ولا أدري لماذا، فما علاقتهم بأبويّ وكيف قتلوهما وكيف قتلوا أمك؟

ردت هنية الكبرى: سأحكي لكِ كل شيء بالتفصيل.

كانت عائلة أبي يهودية وأسلموا فقط بالاسم حتى يظلوا في البلد بعد أمور الحرب تلك. أبي وأمي أسلموا وحَسُنَ إسلامهم لكن البقية لم تُسلم قلوبهم، تركوا دينهم الأول لكن لم يتركوا الكثير من عاداته وأخلاقه والتي منها قسوة القلب، نعم فقد علمتِ ما فعلوه بي ولكن لم تعلمي ما فعلوه بأبي وأمي؛ لقد أرهقوا أمي حَزنًا وقت حملها بي وكانوا يضربونها في وقت غياب أبي وكانت لا تشتكي -رحمها الله- حتى جاءت ولادتها متعسرة وكادت تموت وهي تلدني ولكن الله أنقذها. ظلوا بعد ذلك يعذبونها بألسنتهم وأيديهم وذات يوم وأنا بعمر الخمس سنوات دفعتها زوجة عمي عن السُلم فماتت في وقتها، رأيتها بعيني هاتين وأخبرت الجميع ولم يُصدقني أحد فكيف يصدقون طفلة بعمر

الخمس سنوات؟! حَزن أبي على موتها بشدة ولكنه كان صابرًا جَلِدًا، كانا يأملان أن يقتله حزنه ولكنه لم يفعل فدبرا له حيلة ليقتلانه؛ فقد أخذتني زوجة عمي ووضعتني على حافة سور القصر في أعلى طابق ونادت أبي وهي تصرخ وادّعت أنني صعدته وحدي لألعب وظلت تصرخ بوجهي أخافتني وكدت أسقط ولكن أبي مد يده بسرعة لينقذني وجذبني عن السور وأنزلني ولكن قدمه زلت فسقط من الطابق الثالث إلى الحديقة فوقع على حجر على الأرض، من وضعه هناك؟! ومات أبي هو أيضًا. وفعلا بي ما فعلا حتى لا أتحدث وأخبر الجميع بأنهما هما من قتلا أبواي؛ فلو تحدثت لن يصدقني أحد فلم يكن هناك من يستمع إلي إلا هي... أمك، ماما سلوى، أخبرتها بكل ما رأيت وصدقتني ولكنها كتمت السر خوفًا عَلَيّ من بطشهم، لذلك عندما هددوها ألا تقترب مني وإلا سيؤذونها وإياكِ خافت وتركت المنطقة هي وأباكِ وذهبا إلى الإسكندرية وظلا بها حتى علمت بموتي، فقد قتلوني بعد عام من اختفاء والدتك فقرأت في الصحف خبر موتي فعادت وذهبت إلى زوجة عمي واتهمتها بقتلي كما قتلت أبواي فحاولوا إمساكها ليقتلونها هي الأخرى لكنها هربت منهم فظلوا يبحثون عنها لسنوات إلى أن عرفوا بمكان إقامتكم، وقتها كنتِ أنتِ قد أتممتِ عامك الواحد والعشرين وكان لدى أبيكِ سيارة صغيرة فبعثت زوجة عمي وابنها من يدمر فرامل السيارة وخزان الوقود وعندما ركبتموها وقع لكم حادث فمات أبواكِ

وبقيتِ أنتِ على قيد الحياة لأنكِ كنت تجلسين بالخلف.
أنتِ الآن في غيبوبة منذ وقت الحادث منذ شهرين ولم تستفيقي بعد، وكل ما رأيتينه وحدث لك هو داخل عقلك ولم يحدث لكِ في الواقع إنما هي مقدمات تؤهلك لمقابلتي معك حتى أحكي لكِ ما حدث معي حتى تستوعبيه جيدًا. أما الآن وقد أخبرتك بكل الأسرار فقد حان دوركِ الآن.

قلت لها بتعجب: دوري! وما هو دوري؟

أجابتني: الانتقام.

قلت لها: كيف ذلك؟

أجابتني: ستعرفين كل شيء عندما تُفيقين من غيبوبتك فقد انتهى دوري وأخبرتكِ كل شيء ولن أستطيع أن أراكِ مرة أخرى، لربما آتيك في أحلامك وربما لا، ولكن عليكِ أن تأخذي بثأرنا دون أن تتركي دليلًا واحدًا يدل عليك.

فجأة ظهر إلى جانبها رجل وامرأة تنزف رأسيهما فقالت أنهما أبواها وبعدها ظهر أبواي ونطق الجميع

في نفس اللحظة: خذي بثأرنا يا هنية حتى تستريح أرواحنا.

وبدأوا يتلاشون شيئًا فشيئًا فأخذت أصرخ بقوة وأبكي وأنا أعدهم أنني سأحرر أرواحهم حتى اختفوا من أمامي فصرخت صرخة أقوى وبعدها فتحت عيني فوجدت نفسي في..... غرفة العناية الفائقة! وعرفت حينها أنني أفقت من غيبوبتي وقد عزمت على تنفيذ الخطة التي تملأ رأسي الآن....

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الثاني عشر

"ذاكرة مفقودة"

ما إن فتحت عيني حتى أدركت أنني أفقت بالفعل؛ فها أنا ذا أرقد في سرير بغرفة العناية الفائقة تُحيط بي الأسلاك والخراطيم من كل اتجاه. فور أن رأتني الممرضة أفتح عيني صاحت في الجميع: لقد أفاقت! أيها الطبيب!! لقد أفاقت أخيرًا!

أتى الطبيب ومساعدوه وفحصوني بدقة ونزعوا الأسلاك والخراطيم عَنّي ووجوههم تَشعُ بِشْرًا ثم نقلوني إلى غرفة خاصة وخصصوا لي ممرضة لترافقني. كل هذا حدث وأنا أنظر لهم وأراقبهم ولم أَنْبِسَ بِبِنْتِ شَفَة. فور أن خرجوا أتاني شخص من الاستقبال وسألني عن بياناتي فتصنعت أنني فقدت الذاكرة وكلما سألني عن شيء أَزِيغُ ببصري وأجيبهم بـ "لا أدري!" فنادوا الطبيب مرة أخرى وأحضر طبيب أعصاب وفحصاني للمرة الثانية وكلما سألاني عن شيء أخبرهم أنني لا أتذكره وشرعت في البكاء فحاولا تهدئتي وسألاني إن كنت أتذكر شيئًا عن أبي وأمي أو عن الحادث فازداد بكائي وصرخت: لا أتذكر أي شيء، لا أتذكر أي أحد، لا أذكر أي حادث، حتى أنني لا أتذكر من أنا.

من شدة بكائي أعطوني إبرة مهدئة خشية أن أُصاب بانهيار عصبي، وبمجرد أن أفرغوها في أوردتي حتى غِبتُ عن الوعي مرة أخرى.

ما كِدتُ أُغمض عيني حتى رأيتها؛ هنية الكبرى، لن أُناديها الجثة المحترقة بعد الآن فقد أصبحت صديقتي ولم أعُد أخشاها، أتتني هي وأبواها وأبواي هذه المرة، يبدو أنهم اجتمعوا معًا ولن يتفرقوا، رحبوا بي جميعًا ثم سألتني هنية: لماذا تصنعتِ فُقدان الذاكرة؟

فأجبتها: حتى أفكر في خطة محكمة كان لا بُدَّ من فعل ذلك حتى يتسنى لي تنفيذ أي خطة، وأيضًا لسبب آخر؛ وهو أنه إذا علم أبناء عمك أنني ما زلت على قيد الحياة ربما فكروا في قتلي خشية أن أخبر الشرطة عنهم أما الآن وقد أصبحت فاقدة للذاكرة فلن يَخْشَوْنَنِي وربما تناسوني تمامًا أو لبعض الوقت مما يُعطيني مساحة ووقتًا للتفكير في كيفية الانتقام والذي سيكون باردًا، لو كلفني سنوات لأنفذه لن أتعجل، أريده أن يكون بشعًا مُريعًا لم ولن يحدث مثله أبدًا، سَأُكَرِسُ حياتي لهذا الأمر ولن أفكر في غيره أبدًا، سأجعلهم يُعانون أضعاف ما عَانَيْتُم بسببهم.

ردت أمي: حبيبتي لا يَعمينك الانتقام وتكون حياتك مُكرسة لأجله فقط، لا تُطيلي التفكير وتُهملين سعادتك!

أجبتها: أي سعادة بَعْدُكِ يا أمي؟! أي سعادة بعدك يا أبي؟! ألا تشعران بقلبي الممزق لفراقكما؟ ألا تشعران بمقدار وجعي وحزني وقهري؟ لم أحيا بعيدًا عنكما قط، لم أعرف غيركما وفجأة ينتزعونكما مِنّي في أشد أوقات تعلقي بِكُما وتريدينني أن أتركهم! لا وربي لن أتركهم أبدًا حتى يذوقوا من العذاب ألوانًا بقدر كل آهة ألم خرجت من أعماق قلبي، بقدر كل دمعة نزلت وستنزل من عيني حُزنًا على فراقكما سأجعلهم ينزفون بدلًا منها دِماءً لا دموعًا فقط.

قال أبي: نحن أيضًا يا ابنتي آلمنا فراقك وتركك وحيدة ولكنها إرادة الله ولا مفر منها، خططي لكشفهم وتقديمهم للعدالة ولكن لا تُلوثي يديكِ بدمائهم.

أجبته: اتركها لله يا أبي يدبرها كيفما شاء لكنني لن أسامح.

قالت هنية الكبرى: فكري وتريثي وافعلي ما يحلو لكِ وسنرضى بقرارك أيًا كان.

أجبتها: لقد فكرت وقررت.

سألوني جميعًا في آن واحد: ماذا قررتِ؟

أجبتهم: الانتقام، ولا شيء غيره....

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الثالث عشر

"عودة هنية"

مرحبًا. أنا هنية. هل تذكرونني؟ ها قد عدت إليكم من جديد بعد أن أفقت من غيبوبتي، وها أنا ذا أفيق مرة أخرى بعد المهدئ الذي أعطاني إياه الأطباء عندما انهارت أعصابي؛ فقد كنت أتصنع ذلك في البداية لكنها انهارت بالفعل عندما تذكرت كل ما حدث، لكن بعد الآن لا مجال للانهيار؛ فيجب أن أُركز جُلَّ تفكيري لتحقيق هدفي الأوحد؛ ألا وهو الانتقام من سيد عجوز خيبر. بعدما أفقت أتت الممرضة بالأطباء ليطمئنوا على حالتي فقاموا بفحصي ثم أخبروني أنني سأبقى تحت الملاحظة لمدة يومين وبعدها أستطيع أن أغادر المستشفى حيث أن الرضوض والكسور التي تعرضت لها قد شُفيت تمامًا وبقي فقط أن يطمئنوا أنني لن أعود للغيبوبة مرة أخرى. تركوني وذهبوا بعد أن اطمأنوا أن علامات جسدي الحيوية بخير وأن أعصابي هادئة، بقيت معي الممرضة التي أحضرت لي طعامًا بعد أن تناولته أعطتني الأدوية وسألتني إن كنت أحتاج شيئًا فطلبت منها مساعدتي لأتوضأ فأسندتني وأخذتني إلى الحمام فتوضأت وصليت الفجر؛ فقد نمت من الظهر حتى موعد الفجر، انتهيت من صلاتي جالسة في سريري بسبب شعوري بالوهن الشديد ثم فور أن انتهيت رقدت وتلوت أذكاري وأخبرت الممرضة أن

ترتاح قليلًا فذهبت إلى سرير آخر وأخذها النوم إلى أعماقه. كان المكان هادئًا والأجواء صافية من أي كدر ومثل هذه الأجواء مناسبة جدًا للتفكير كما تعلمون، بدأت أُعمِلَ عقلي وأرتب خطوات خطة الانتقام في ذهني وأحاول التخطيط لها بدقة متناهية حتى لا أُلفِتَ الأنظار ولكي أُبعد عني أيَّة شبهات؛ فأنا أريد انتقامًا نظيفًا لا دليل فيه يدل علي، وأريده أيضًا بطيئًا فلا بد من إطالة العذاب حتى يتمنى ذاك العجوز الموت ولا يستطيع إليه سبيلًا. دبرت خطة ذكية في رأسي وعمدت أن أنفذها فور خروجي من المستشفى بإذن الله ولا أتأخر لحظة واحدة؛ فكل لحظة تمر تُزيد عذابي وآلام فقداني لأحبابي، ذكريات عذابهم من هذه الأسرة الظالمة العاتية تُمزق قلبي كلما لاحت لعقلي وأشعر كأنني أعيشها معهم لحظة بلحظة. يا ويلك مني يا سيد أنت وأسرتك إن كان هناك من بقي منهم على قيد الحياة؛ فها قد عادت إليكم هنية وبقوة، لن يمنعكم مني إلا الله -عز وجل- فهو وحده القادر على إنقاذكم مما سأفعله، فلتنتظروا إذًا لتتذوقوا من العذاب ألوانًا على يدي؛ يد هنية! فلقد كانت هنية الكبرى شوكة في حلوقكم في صغرها فتخلصتم منها لتتنعموا في خيرات ميراثها، وقد تركناكم تتمتعون به بما فيه الكفاية وقد آن الأوان لتذوقوا الألم على يد هنية الصغرى كما أذقتموه لهنية الكبرى، حان وقت استبدال رغد العيش والسعادة بالتعاسة والفاقة، فلتترقبوا وصولي؛ فهنية قادمة، والويل لكم من قدومها!

مر اليومان ببطء شديد لم يمنحني الصبر عليهما إلا أداء الصلاة وقراءة القرآن الكريم والتفكير في حبكة خطتي. كان الأطباء يطمئنون علي بين الفينة والأخرى، وها هو آخر فحص قد تم وأخبرني الطبيب أنني أستطيع الخروج الآن فلم يعد هناك خطر من احتمال عودتي للغيبوبة، ولكنه خشي من مشكلة الذاكرة تلك فهي عائق أمامي فأين سأذهب، وكيف سأعيش؟ كم أن هذا الطبيب حنون وطيب يخشى علي، ولكنه لا يستطيع فعل شيء لي؛ فإنما هي قوانين المستشفى ولا سبيل لخرقها. عرض علي الطبيب أن يساعدني بمال أو أي شيء فطلبت منه فقط أن يأخذني لأي فندق بسيط أقيم فيه تكون أسعاره معقولة وأن يدفع لي مقابل إقامة ليلتين ريثما أبحث عن عمل وعندما أجده سأعيد له المال، وافق الطبيب وها أنا ذا أستعد للخروج من المستشفى، تركت غرفتي في الصباح الباكر من اليوم الثالث بعد إفاقتي من الغيبوبة وخرجت مع الطبيب الوقور والذي يقارب سِنَّهُ سِنُّ أبي رحمه الله، نزلنا من المستشفى وصعدنا إلى سيارته وفي الطريق سألته عن أبي وأمي فأخبرني أنهما قد دُفنا في مقابر الصدقة؛ لأنه لم يكن لديهما هويات ولم يتعرف عليهما أحد، ولم يتقدم أي أحد بالإبلاغ عن اختفائهما، كما أنني الوحيدة التي أعرفهما كنت بغيبوبة ومن المستحيل أن يتركوا الجثث لتتعفن حتى أفيق أنا. بكيت فهدأني، فطلبت منه عنوان المقبرة التي دُفنا بها لأزورهما، فأخبرني أنه سيسأل إدارة

المستشفى عن العنوان وسيخبرني به لاحقًا. وصلنا إلى فندق بسيط جدًا في مصر القديمة، دخل الطبيب وأخبرهم عن حالتي وأعطاهم بياناته كضمان، واختار لي اسمًا وكتبه في قائمة البيانات هذا الاسم هو "نجمة"، اسم جميل ولطيف أحببته. دفع الطبيب مقابل إقامتي لأسبوع كامل، وأخذني في جانب بعيد عن العاملين وأعطاني مبلغ ألفي جنيه لأستعين بهم على حالي حتى أجد عملًا، وأخبرني أنه لو لم يكن لديه عمالة زائدة في العيادة لكان أخذني لأعمل معه، ولكنه لن يتركني وسيبحث لي عن عمل، أعطاني بطاقة بها أرقامه لأهاتفه إن احتجت شيئًا، كما أنه قد أخذ رقم هاتف الفندق ليطمئن علي. ودعني الطبيب الطيب وذهب ثم صعدت إلى غرفتي؛ غرفة جانبية في الطابق الثالث رقمها 202، بسيطة وصغيرة جدًا، تحتوي على خزانة ملابس صغيرة وسرير صغير وتسريحة زينة وأريكة صغيرة أسفل النافذة فليس بها أية شرفات.
أخذت حقيبة الملابس التي اشتراها لي الطبيب من الطريق -وهي عبارة عن طاقم للبيت وطاقم للخروج- ودلفت إلى الحمام اغتسلت وارتديت عباءة البيت والطرحة وصليت الضحى الذي ما إن انتهيت منه حتى سمعت طرقات على الباب ففتحته ووجدت أنه أحد عاملي الفندق قد أحضر لي إفطارًا، تناولت إفطاري ثم ارتديت ملابس الخروج والتي كانت عبارة عن عباءة سوداء وخمار أسود، أخذت حافظة النقود الصغيرة التي اشتراها لي أيضًا الطبيب ووضعت بها النقود التي

أعطاها لي، هبطت دَرَجَ الفندق وأعطيت موظف الاستقبال المفتاح وأخبرته إن اتصل الطبيب فليخبره أنني خرجت لأبحث عن عمل. خرجت من الفندق وأنا أُفكر في صنيع الطبيب معي وكيف لي أن أكافئه عليه فمهما فعلت لن أستطع، كما تعجبت من دقته وذكائه فهو لم يترك صغيرة ولا كبيرة قد أحتاجها إلا ودبرها لي، أسأل الله له السلامة في كل أموره والجزاء الحسن. أشرت لسيارة أجرة -تاكسي- وأخبرته بالعنوان الذي أود الذهاب إليه، هو ليس ببعيد لكنني لا أعرف الطريق. وصلت السيارة إلى المكان المطلوب في وقت قليل، دفعت له أجرته وترجلت منها، تحركت بضع خطوات للأمام حتى وقفت أمام المكان وقرأت اليافطة المعلقة أعلاه والتي كان مكتوبًا عليها "أنتيكات هنية"!!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الرابع عشر
"لقاء واقعي"

"أنتيكات هنية!" وقفت أتأمل تلك اليافطة المعلقة أعلى واجهة المحل وأنا أتعجب من ذاك الاسم! كيف له أن يسميه باسمها وهو من قتلها؟! يبدو أنه أراد أن يبعد عنه الشبهات ويُقنع الجميع أنه حزين على فراقها ومخلص لها. حسنًا، سنرى أيها العجوز من الفائز في النهاية.

تقدمت بخطوات واثقة نحو المحل حتى استقريت إلى بابه فدلفته وتقدمت نحو سيد الجالس على مكتبه وألقيت السلام ثم جلست قبل أن يأذن لي مما جعله يتعجب من صنيعي وسألني بفضول: من أنتِ؟!

أجبته بكل ثقة: هنية.

شعرت بجسده ينتفض وملامحه تتغير عندما سمع اسمي وكأنه تذكر شيئًا ما! فما هو يا تُرى؟

قال بذهول: من؟

أجبته وأنا أرسم ابتسامة واسعة على مُحياي: هنية. ما بك يا سيدي هل رأيت شبحًا؟ أم أن اسمي يذكرك بشخص ما؟

انتفض وهبَّ واقفًا من مجلسه وقال بتلعثم: شخص! أي شخص؟! أنا لا أعرف أحدًا بهذا الاسم، من تكونين؟

أجبته وأنا أضحك بقوة: ما بك يا رجل؟! أجننت أم أصابك النسيان؟ كيف لا تعرف أحدًا بهذا الاسم وهو اسم محلك؟!

تلجلج سيد قليلًا ثم حاول التماسك وهو يجيبني: إنه مجرد اسم وليس معنى ذلك أنه اسم شخص أعرفه، والآن أخبريني من أنتِ وماذا تريدين؟

أجبته: لقد أخبرتك، أنا هنية.

أجابني بغيظ لا أعلم سببه: أعلم أن اسمك هنية، لكن من تكونين؟

أجبته بكل ثقة: فتاة.

اغتاظ بشدة واحمرت وجنتاه وقال لي وهو يضرب بيديه على المكتب: هل أنتِ مجنونة؟ هل قلت أنكِ رجل؟ ما هذا الغباء المقيت؟! ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ أتعلمين؟ لن أبيع لكِ أبدًا، هيا اغربي عن وجهي.

أجبته بهدوء: اهدأ يا رجل، لم هذا الانفعال؟ ماذا فعلت أنا؟ أنت من تسأل أسئلة غير واضحة، لا تنظر إلي بغضب هكذا. حسنًا سأخبرك ماذا أريد، لقد أتيت إلى هنا لأبحث عن عمل.

نظر لي باستهزاء وقال: عمل! هنا! أنا لا أسمح لأحد بالعمل لدي وإن سمحت فلن يكون أنتِ، أنا لم أتحملكِ لدقائق فكيف أتحملكِ طيلة اليوم وكل يوم؟ هيا اذهبي من هنا ولا تعودي مرة أخرى.

ابتسمت وقلت له بهدوء: لكنني سأعمل هنا.

نظر إلي وعلامات التعجب ترتسم على وجهه: أهو إجبار برأيك؟! كيف تعملين هنا دون إرادتي؟

أجبته بتحدٍ: بل بإرادتك.

سألني بامتعاض: وكيف ذاك؟

فأجبته: اجلس يا رجل، اجلس، لا تترك نفسك فريسة للعصبية، سأخبرك، أنا فتاة يتيمة لا أجد عملًا ولا أعرف كيف سأعيش؛ فقد انهدم بيتي على أمي وأبي ونجوت أنا لكنني فقدت الذاكرة ولا أذكر سوى اسمي، أعيش في فندق فهل ستتركني هكذا؟ أين شهامتك ومروءتك؟

ثم أخذت في البكاء قليلًا ثم نهضت من مجلسي وقلت له: أعتذر لك سيدي على حماقتي لكنني كنت أتعشم بك وخاب ظني، لقد سألت عن عمل في كل مكان فأخبروني أن لديهم عمال أما أنت فلا يعمل لديك أحد ففرحت وتوقعت أنك تبحث عن أشخاص للعمل وستجعلني أعمل معك لكنك صدمتني، سأذهب أنا وأحاول البحث من جديد، عن إذنك.

ثم أدرت ظهري له وهممت بالخروج ولكن أوقفني صوته وهو يناديني بهدوء: توقفي يا هنية.

فوقفت مكاني ولم أستدر له فقال مرة أخرى: حسنًا، أوافق على عملك معي.

استدرت له وقلت وأنا أكفكف دمعي وأبتسم ابتسامة مصطنعة: حقًا! أشكرك سيدي.

قال لي بلهجة آمرة: ولكن لدي شرط هام.

سألته بتوجس: ما هو؟

قال بجدية: أن تَكُفّي عن الثرثرة وتتخلصين من حماقتكِ وتُعملين عقلكِ، أرجوكِ.

قلت له بجدية: لا تقلق سيدي؛ فأنا جادة في عملي ومتقنة له، وأعدك أنك ستنبهر بي ولن تشكو مني قط.

قال بشك: آمل ذلك، هيا تعالي معي لأعرفك على محتويات المحل وأسعارها وكيفية العمل.

مر اليوم طويلًا، شاقًا، ومملًا ونحن ندور بين التحف يعرفني أسماءها وقيمتها وأسعار البيع والشراء وكم هي قيمة، واحذري يا هنية أن تكسريها، واهتمي بها يا هنية كأنها ابنك، ولا تسمحي للزبائن بلمسها كثيرًا، كوني لطيفة مع الزبائن يا هنية، لا تتحامقي يا هنية،

لا تكوني مستفزة يا هنية، مهما قال الزبون فهو على حق يا هنية، كوني عاقلة يا هنية.... أوامر أوامر أوامر.... ما كل هذا؟ إنه هو المستفز لا أنا!

عدت أخيرًا إلى الفندق في المساء عند الساعة الثامنة بعدما أغلق المحل وتركني لأعود وحدي في هذا الظلام، كم هو شهم! عندما وصلت الفندق أخبرني موظف الاستقبال أن الطبيب سأل عني فهاتفته وطمأنته أنني وجدت عملًا ففرح لي بشدة وطلب مني أن أنتبه لنفسي ثم أنهيت المكالمة وصعدت إلى غرفتي، بمجرد أن دلفت الغرفة ارتميت على السرير بملابسي وغُصت في نوم عميق، فالحمد لله أنني صليت كل الصلوات في المسجد القريب من المحل وأيضًا تناولت طعامي في المحل؛ لذا أخبرت موظف الاستقبال ألا يزعجني أحد حتى أستريح من هذا اليوم الشاق، لقد بذلت مجهودًا ضخمًا بالنسبة لجسدي الهزيل الذي لم يتعافى بعد. استيقظت فجرًا فصليت فرضي وجلست أتلو أذكاري ثم صليت الضحى وتناولت إفطاري في مطعم الفندق بعد أن تجهزت للخروج. خرجت من الفندق وتوجهت إلى المحل الذي وصلت إليه في تمام الثامنة صباحًا أي في الموعد بالضبط. عندما وصل سيد وجدني أنتظره أمام المحل ففتحه ودلفنا بعد أن حياني وأشاد بالتزامي بالموعد. رتبنا المحل وتجهزنا لاستقبال الزبائن. بدأت الزبائن تأتي الزبون تلو الزبون وأغلبهم أجانب. أُعجب سيد

بنباهتي وحسن تعاملي مع الزبائن، أخبرني في استراحة الغداء أنه متفائل بي ويرى أنني سأصبح عما قريب متمرسة في العمل بدقة أكبر، تظاهرت بالفرح بكلامه وشكرته عليه. أنهيت طعامي وعدت إلى مكاني؛ وهو كرسي في وسط المحل بعيدًا عن مكتبه قليلًا، كان منشغلًا في الحسابات ولم ينتبه لنظراتي المتفحصة له. نسيت أن أخبركم عن مواصفاته فهو بالطبع أصغر مما كان في أحلامي، هيا سأعرفكم عليه؛ سيد وجدي، رجل في عمر الخامسة والأربعين لكنه يبدو شابًا فتيًا، ملامحه ما زالت شابة وجسده قوي، طويل يقارب طوله ال180 سنتيمترًا، ليس بالنحيف ولا بالسمين فحجمه معتدل، يرتدي ثيابًا عصرية كما يسمونها "كاجوال"، إنه أنيق للغاية مما يعطيه شكلًا أصغر من سنه، بشرته بيضاء وملامحه لطيفة وعيناه باللون العسلي، إنه وسيم بالطبع وملامحه هادئة لكنه يُخفي خلف تلك الملامح قلبًا قاسيًا وروحًا مليئة بالشر، صوته هادئ رخيم لكنه دافئ بعض الشيء. تلك المواصفات تنطبق على شخص مثالي من كل الجهات تتمناه أي فتاة لكن هذا لو كان شخصًا غير سيد وجدي. لم يتزوج حتى الآن ولا أدري لماذا؟ مواصفاته قريبة من تلك التي كان عليها في أحلامي لكنه كان أكبر بكثير، سيكون هذا الرجل وسيمًا جدًا عندما يصبح عجوزًا لكنه لن يحيا كل تلك السنوات إلا بإذن الله. رفع نظره عن الأوراق التي أمامه فنظر

باتجاهي فوجدني ما زلت أتأمله فتعجب من نظراتي وسألني بدهشة: لِمَ تنظرين إلي هكذا؟!

توترت من سؤاله فبمَ أجيبه هذا؟ أعاد سؤاله مرة أخرى فقلت له: آسفة سيدي، لقد كنت شاردة ولم أكن أنظر إليك.

سألني بفضول: بمَ كنتِ شاردة؟

أجبته بنبرة وتَّرَتْهُ: في اسم المحل.....

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الخامس عشر

"أبي"

المرء منا ما هو إلا أعصاب إذا انهارت انهار، وإذا كان قوي الأعصاب فهو في مأمن من أي خطر بشري أو أي انكسار إلا بإذن الله. أعلم أن الخطوة الأولى لتنتقم من شخص ما هي أن تتلاعب بأعصابه حتى تمزقها يومًا ما وحينها يكون قد اكتمل الانتقام، منذ اليوم الأول لي بلقائي بسيد وأنا أهتم بتلك النقطة "الأعصاب" فهي نقطة ضعف كل المخلوقات وليس البشر فحسب. وها هو أمامي يشعر بالارتباك عندما أخبرته أنني أفكر في اسم المحل، لم يستطع النطق لوهلة ثم تحرر لسانه من قيد توتره وسألني بصوت خافت يخرج من حلقه بأعجوبة: ما به اسم المحل؟ لِمَ تفكرين به كثيرًا هكذا؟

نهضت من مجلسي وتوجهت إلى حيث يجلس على مكتبه وجلست على الكرسي المقابل له بعد أن وجهته مقابله حتى يكون وجهي مقابلًا لوجهه وقلت له بهدوء لا أدري لمَ جعله يتوتر أكثر: ألا تظن أنه من الغريب أن تسمي محلك الخاص باسم فتاة تقول أنك لم تعرف فتاة قط بمثل اسمها؟ لِمَ لَمْ تُسَمِه باسمك أنت أو أي اسم تجاري؟

قال بتلعثم طفيف: إنه مجرد اسم أتى على بالي وقتها فشعرت أنه لطيف وجذاب، اسم قديم في منطقة سياحية سيجذب الزبائن بالتأكيد.

نظرت له فترة في عينيه مما أدهشه فسألني: ما الأمر؟

قلت له: أتعجب من كونك اخترت هذا الاسم بالذات وبعد كل تلك السنوات آتي أنا وأعمل هنا وأنا أحمل نفس الاسم! أكنت تشعر أنك ستقابلني يومًا ما؟

ارتسمت ملامح الدهشة على وجهه فقال بحنق: اذهبي لعملك ولا تتحدثي في هذا الأمر مرة أخرى فهو لا يخصك، فلمَ التطفل يا فتاة؟

نهضت من مجلسي بهدوء تام وبرود شديد وباشرت عملي؛ فقد أقبل الزبائن تَتْرًا على المحل بقية اليوم حتى أُنهكت. طيلة اليوم ولم يكف سيد عن مراقبتي وشعور القلق يعتريه مني. انتهى وقت العمل فعدت أدراجي إلى الفندق وما إن وصلته حتى وجدت الطبيب ينتظرني في بهو الفندق، فذهبت إلى حيث يجلس ورحبت به. سألني الطبيب عن حالي فأخبرته بكل ما حدث منذ وجدت عملًا، أخبرته أيضًا أنني اخترت

لنفسي اسم هنية كاسم المحل بدلًا من نجمة. شعرت أن الطبيب قد حزن لتغييري الاسم الذي اختاره لي فقلت له أن هذا الاسم لن يناديني به غيره فهو ذو فضل علي وأحببت أن يكون مميزًا فعادت له بشاشته من جديد وقال: أنتِ فعلًا مميزة يا نجمة، فوالله أشعر كأنكِ ابنتي وأخشى عليكِ فاعتني بنفسك يا صغيرتي.

ابتسمت له وهذه أول مرة أبتسم من قلبي منذ وفاة والديّ وقلت له: شعور متبادل يا دكتور وكلامك هذا أسعدني وجبر خاطري.

قال باستهجان: أهناك فتاة تنادي أباها ب "يا دكتور"؟!

ضحكت وقلت له بمشاكسة: أوهناك شيئًا يدعو للفخر أكثر من كوني ابنة الطبيب العظيم " خالد عبدالرحمن"؟

ضحك من أسلوب حديثي وقال لي بمرح: ناديني أبي فأنا أتوق أن أسمعها منك يا ابنتي.

أجبته بكل حنين لقول هذه الكلمة مجددًا والدموع تترقرق في عيني: حسنًا يا أبي.

قال لي وقد شعر بمقدار اشتياقي لأبي الحقيقي: أنا هنا لأعوضك عن أبيكِ، فلا تبتئسي يا صغيرتي، ما هذا يا نجمتي الصغيرة؟! لا تأخذينا للحزن فقد جئتكِ بخبر مبهج.

سألته بحماس وفضول: ما هو يا أبي؟

قال لي بحماس لا يقل عن حماسي: لقد وجدت لكِ شقة صغيرة للإيجار في منطقة خان الخليلي، قريبة من محل عملك حتى لا تنفقي الكثير من المال في المواصلات، لقد أخبرت صاحب المسكن أنني طبيبك المعالج وأن عقد الإيجار سيكون باسمي لأنك ليس لديك أوراق وما زلت أحاول استخراج أوراق لك لأن والديك قد توفيا بحادث وأنكِ كنتي معهما وفقدتِ الذاكرة، قد سجلنا العقد لمدة عام قابل للتجديد وكل شيء على ما يرام، ما عليك سوى أن تنتقلي إلى هناك وتقيمين بالشقة، هيا اصعدي لغرفتك أحضري أشيائك ريثما أنتهي من الإجراءات.

لم أدرِ ماذا أقول له فقد زادت أفضاله علي ولا أستطيع أن أوفيها، فصعدت إلى غرفتي دونما نقاش وأحضرت أشيائي ونزلت إلى الأسفل فوجدته قد أنهى كل الإجراءات فخرجنا من الفندق وركبنا السيارة. تحركت بنا السيارة في شوارع مصر القديمة في طرقات لا أستطيع تمييزها ولا تذكرها، كنا صامتين طوال الطريق لم نتفوه بكلمة واحدة حتى انتهى بنا الطريق إلى حارة ضيقة وتوقفت بنا السيارة أمام منزل ليس ببالغ القِدم ولا بالحديث أيضًا، كان منزلًا مكونًا من أربعة طوابق؛ الطابق الأول عبارة عن محلات، والطابق الثاني يسكن به صاحب المنزل، أما الطابق الثالث فبه شقتي والطابق الرابع لا أعتقد أن به سكان، منزل صغير بكل طابق شقة واحدة فقط لكنه مريح وتشعر بالطمأنينة له خاصة أن له بوابة أمامية مغلقة دائمًا. ترجلنا من السيارة فدق الطبيب جرسًا على جانب البوابة ثم توجه إلى صندوق السيارة ففتحه وأخرج منه أكياسًا كثيرة وناداني لأساعده في حملها، ريثما انتهينا من إخراج الأكياس وغلق السيارة جيدًا كان صاحب المنزل قد دلف للأسفل وفتح لنا البوابة ورحب بنا وأدخلنا. صعدنا إلى الطابق الثالث ففتح الرجل باب الشقة وأعطاني مفتاحها ومفتاحًا آخر للبوابة حتى يتسنى لي الدخول وقتما أعود دون أن أنتظره ليفتح لي. وضع الطبيب ما بيده من أكياس وأخبرني أنه أحضر لي كل ما قد أحتاجه، أعطاني هاتفًا صغيرًا وأخبرني أن عليه رقمه وقد شحنه

بالرصيد وعلمني كيف أستخدمه وطلب مني أن أهاتفه في أي وقت سواء احتجت إليه أم لا. شكرتهما على تعاونهما ولطفهما فاستأذنا ليغادرا وودعاني، أغلقت الباب خلفهما بالمفتاح وفتحت الأكياس فإذا بها مليئة بمستلزمات المطبخ التي قد أحتاجها؛ خضروات وفاكهة ولحوم وبقالة، كما أنه كان هناك كيسًا به طعام ساخن لأتناوله عشاءً لليلتي هذه، باقي الأكياس كان بها ملابس لي للبيت وللخروج أكثر من طاقم فبكيت من شدة لطف هذا الطبيب وكرمه. نظرت حولي فإذا بالشقة نظيفة ومرتبة فذهبت لأكتشفها وكانت عبارة عن؛ صالون صغير في الصالة مقابلًا لباب الشقة وبه تلفاز صغير، على يمينه غرفة بها سريرين فيبدو أنها غرفة للضيوف، اتجهت يمينًا فإذا بمدخل عليه ستار فدلفت إليه فإذا به عبارة عن ردهة صغيرة عن يمينها يوجد باب فوجدتها غرفة للنوم وفي المنتصف يوجد المطبخ والذي كان متوسط الحجم وبه طاولة وكرسيين لتناول الطعام وكان على اليسار حمامًا صغيرًا وبه غسالة صغيرة. تلك هي شقتي صغيرة لكنها جميلة ومريحة وأساسها وألوانها جدد كأنها قد جُهزت عن قريب. عدت أدراجي إلى الصالة فأخذت الأكياس ووزعتها في أماكنها في المطبخ وتناولت طعامي ثم أخذت أكياس الملابس ووضعتها في الدولاب وارتديت بيجامة منهم وأخلدت للنوم فاليوم كان شاقًا.

استيقظت على صوت أذان الفجر فنهضت من نومي وذهبت إلى الحمام اغتسلت وتوضأت وأديت صلاتي وجلست أتلو أذكاري وأقرأ القرآن حتى طلعت الشمس فنهضت من مصلاي وذهبت إلى المطبخ فجهزت إفطارًا وتناولته ونظفت المطبخ ثم بدلت ملابسي وخرجت لعملي. عندما خرجت من المنزل شعرت بالتيه؛ فأين أنا؟ وكيف سأذهب إلى عملي وأنا لا أعرف الطريق؟ وقفت قليلًا شاردة فإذا بي أنتبه ونظرت حولي والدهشة تعتريني لما أراه حولي! كيف هذا؟! أأنا في الحياة الواقعية أم أنني عدت للأحلام من جديد؟ أيعقل أن يكون ما أراه حولي هو حقيقة وليس خيالًا؟ لا أصدق أنني أرى هذا فعلًا! ماذا يحدث لي يا الله؟!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل السادس عشر

"انهارت آمالي"

لم تكن أحلامي التي رأيتها في غيبوبتي مجرد أحلام، لقد كانت تهيئة لما سيحدث بعد ذلك كما أخبرتني هنية الكبرى؛ فمحل الأنتيكات هو نفسه كما رأيته في أحلامي، والآن أرى بكل دقة أن الشارع الذي أقف فيه ويقع به منزلي الجديد هو نفسه الشارع الذي كان به مسكني في أحلامي والعمارة هي نفسها والشقة هي نفسها، ها قد علمت سر ارتياحي لهذه المنطقة ولمسكني. تحركت من مكاني باتجاه المحل، أسير في الطريق بكل راحة فأنا أعرفه جيدًا بكل تفاصيله حتى أنني أشعر أن الوجوه مألوفة لي هي أيضًا. وصلت المحل بعد مدة وجيزة لا تتجاوز العشر دقائق سيرًا على الأقدام فوجدت أن سيد قد وصل لتوه وها هو يفتح باب المحل فتقدمت نحوه وبابتسامة مصطنعة قلت بمرح: صباح الخير يا أستاذ سيد، كيف حالك اليوم؟ ما رأيك في انضباطي؟ أتيت في موعدي دونما تأخير لتعرف أنك قد حصلت على جوهرة بجعلي أعمل معك.

نظر إلي بوجه يعلوه الغباء وقال وكأنه لم يستوعب ما قلته: صباح الخير يا هنية، هيا ساعديني لإخراج تحف العرض خارج المحل.

قلت في نفسي: ما هذا الأبله؟! ألم يسمعني؟ أم أنه لم يفهمني؟ أم أنه يتجاهلني؟!

ناداني بصوت عالٍ: هيا يا حمقاء، ليس هذا وقت الشرود.

حمقاء! أنا حمقاء يا أبله؟ ويلك مني، سأمررها لك هذه المرة فحسابك العسير لم يأت بعد.

فعلت ما طلبه مني ثم كنست المحل وجلسنا ننتظر الزبائن، انتصف النهار ولم يأتِ زبون واحد، لا أدري هل أتى زبائن وأنا أصلي الظهر في المسجد أم لم يأتِ أحد مطلقًا، سينعتني بالنحس الآن! بعدما صليت العصر أحضرت معي طعامًا لنا وجلسنا لنأكل سويًا على مكتبه ولا أدري ما سر هذا اللطف المفاجئ؟ كان ينظر لي وهو يأكل نظرات غريبة لا أدري كنهها؛ أهي نظرات شك؟ أم نظرات حقد؟ أم نظرات إعجاب؟ أو ربما تكون نظرات طمع في الطعام الذي في يدي، آه يا بطني! لا أحب أن ينظر أحد لي وأنا أتناول طعامي.

أنهينا طعامنا فنهضت من مجلسي فسألني بلهفة: إلى أين يا هنية؟

أجبته باندهاش للهفته تلك: سأجلس في مكاني المعتاد.

لكنه قال لي بسرعة: لا، اجلسي هنا فهنا مكانك أيضًا.

سألته وقد ازدادت دهشتي: ولمَ؟ ما الفارق بين هنا وهناك؟

أجابني بتوتر: مثلما قلتِ؛ لا فارق، فاجلسي هنا إذًا، لمَ الجلوس وحدك وأنا أجلس وحدي ولا يوجد زبائن، هكذا سنمل من الصمت المطبق على المكان، ما رأيك لنتحدث قليلًا حتى يمر الوقت سريعًا دون ملل؟

كنت واقفة كالبلهاء لا أفهم ما سر تغيره المفاجئ الذي جعله يتوق للحديث معي بعد أن كان بالأمس ينعتني بالثرثارة؟ ولم أدرِ ما سر جلوسي وموافقتي على ما قاله دون أن أشعر.

عندما جلست وجدت ملامحه قد بشَّت فتحدث وقد اعتلت الابتسامة شفتيه: أتعلمين يا هنية؟ أشعر أن هذا اليوم رائع رغم أنه لم يدخل إلى المحل أي زبون حتى

الآن، لكنني أشعر براحة وسعادة والعجيب أنني أتمنى أن تكون كل الأيام هكذا! هذا الهدوء يأسرني.

سألته بتعجب: لمَ كل هذا؟

فأجابني: لا أدري، هو شعور مفاجئ اعتراني ولا أدري سببه، أتعلمين كم عمري يا هنية؟

أجبته وقد تصنعت عدم المعرفة: ربما أربعون أو خمسة وأربعون عامًا.

ارتسمت ملامح الدهشة على وجهه وقال: ما كل هذا يا فتاة؟ أتظنين أنني بعمر أبيكِ؟ أنا ما زلت شابًا لم أتجاوز التاسعة والعشرين من عمري بعد.

قفزت من جلستي وكأننا لدغتني أفعى، وقد بلغت بي الدهشة مبلغًا عظيمًا وسألته وقد كدت أُجن مما أسمع: ماذا تقول؟ كيف هذا؟ هذا ليس صحيحًا فأنت أربعيني!

وقف هو الآخر ونظر لي بدهشة متسائلة: ما بك يا هنية؟ أقول لكِ أنني ما زلت عشرينيًا فلمَ تصرين على

أن تضاعفي عمري؟ ما سر إصرارك هذا ودهشتك تلك؟!

أجبته بحذر: لا شيء، أنا فقط أتعجب كيف تكون عشرينيًا وقد أسست هذا المحل القديم؟

أجابني بهدوء بعد أن جلس: لقد أفزعتِني، جعلتِني أشعر أن ملامحي يبدو عليها الكبر، لا يا فتاة، لست أنا من أسس المحل.

سألته مرة أخرى وقد اعتراني شعور بالخيبة ربما: من أسسه إذًا؟

أجابني: لقد اشتراه أبي منذ عشرين سنة وقد كان محترقًا وجدده صاحبه ثم باعه لنا، وها أنا أديره بعد وفاة والدي.

ماذا يقول هذا الرجل؟ كيف اشتراه والده وممن؟

سألته مرة أخرى: ممن اشتراه والدك؟

أجابني: من شخص يدعى سيد أيضًا، يا للمصادفة! اسمه سيد وأنا اسمي سيد! والمحل اسمه هنية وأنتِ اسمك هنية! أشعر كأنني في فيلم قديم.

ثم أخذ يضحك فنظرت إليه ببلاهة فكف عن الضحك وسألني بتوجس: ما بك يا فتاة؟

أجبته وقد ازدادت حيرتي: كل ما تقوله غير منطقي بالمرة ولا أستطيع تصديقه.

قال لي: لماذا؟ سأحكي لك ما حدث؛ لقد احترق هذا المحل منذ عشرين سنة وقد كان به فتاة تدعى هنية، أعتقد أنها ربما كانت صاحبة المحل، بعد أن انتهت الشرطة من التحقيقات وصنفت القضية على أنها انتحار وورث سيد هذا المحل والذي يكون ابن عمها، باع المحل لأبي معللًا أنه لا يستطيع البقاء في البلد بعد وفاة حبيبته هنية وأنه مضطر لبيعه ليسافر، كان لأبي محلًا في منطقة أخرى لكنه باعه لقلة الزبائن واشترى هذا لأن المنطقة حيوية ولكن أوصاه سيد أن يُبقي على اسمه كما كان "أنتيكات هنية" فوافق أبي، وها قد أصبح المحل ملكنا منذ تلك اللحظة إلى يومنا هذا، وقد ورثته عن أبي لأنه ليس لدي إخوة، أما عن اسمي فهو ليس سيد.

تملكتني الحيرة مع شعور بالغيظ والدهشة، هل ما يقوله حقيقيًا أم أنني أحلم؟ تداركت ما قاله فتساءلت بدهشة أكبر: ماذا؟! اسمك ليس سيد؟! من تكون إذًا؟ ولمَ تركتني أناديك بسيد؟

ضحك بشدة لبعض الوقت ثم توقف عن الضحك عندما رأى الغضب يعتريني فقال: منذ أتيتِ وأنتِ تناديننى سيد، أردت أن أخدعك قليلًا جزاء ثرثرتك وحملك لي على أن أجعلك تعملين لدي رغمًا عني، أما عن اسمي فكيف لم تقرأيه على لافتة المحل من قبل؟!

سمعت ما قاله فهرولت خارج المحل ورفعت رأسي أنظر إلى اللافتة وما كتب عليها فوجدت مكتوبًا؛ (إدارة: ماجد إبراهيم الرويني). وقفت مدهوشة وقد شعرت أن مخططاتي قد انهارت، أين ذهب سيد وجدي إذًا؟ كيف سأنتقم منه الآن وأنا لا أعرف أين مكانه؟ ما كل هذا التغيير غير المتوقع؟ يا لهول ما سمعت!

أفقت من شرودي ودهشتي على صوت ماجد وهو يقف أمامي ويتساءل: ما بكِ يا هنية؟ ما سر ارتباكك هذا؟

أجبت سؤاله بسؤال: من أنت؟

أجابني بدهشة: لقد أخبرتكِ! أنا ماجد الروينى، صاحب هذا المحل، لمَ لا تصدقيني؟ انتظري!

أخرج من جيب بنطاله محفظته ففتحها وأخرج منها بطاقة هويته وأعطاني إياها فأخذتها منه بلهفة وقرأت بياناته فوجدت أن ما قاله صحيح؛ اسمه ماجد إبراهيم الروينى، مواليد 1993 أي أن عمره 29 عامًا، تخرج في كلية التجارة ويسكن نفس الحي!

قال لي وأنا أناوله بطاقته: هل صدقتِ ما قلته الآن؟ لم أغير البطاقة بعد وفاة أبي حتى أغير خانة العمل ولكن أنا حقًا صاحب هذا المحل، ولكن لم تخبريني ما سر تغيرك بعد سماع ما قلته؟

أجبته: لا شيء، أنا فقط عندما سألت عن عمل أخبروني أن هذا المحل لشخص اسمه سيد لذلك ناديتك بهذا الاسم واندهشت فقط لكونه ليس اسمك، أعتذر لك.

قال لي: لا يهمك يا هنية، أعتذر لكِ أنا عن فظاظتي معك فأنا لا أحب التعامل مع الفتيات ولم أتوقع أن تعمل معي فتاة قط.

صمتنا قليلًا ثم دلفنا للمحل وجلسنا على المكتب واعترانا الصمت مجددًا، كان هو ينظر إلي لا أعلم هل ما زال يتساءل عن سبب اندهاشي أم لا؟ أما أنا فقد شردت أفكر فيما قاله والأسئلة تنهش عقلي دونما رحمة وليتني أجد لها إجابات! بعد صمت طويل دخل المحل أول زبون فقمت بعملي وتوالى الزبائن حتى انتهى اليوم.

عدت أدراجي إلى منزلي بخطوات متثاقلة وقد اعتراني التفكير مجددًا حتى وصلت منزلي ففتحت البوابة ودلفت للداخل، أغلقتها خلفي وصعدت السلم حتى انتهيت إلى شقتي ففتحتها ودخلت وأغلقت الباب وقبل أن أشعل الأضواء رأيت ما لم أتوقع أن أراه! رأيتهم ولكن كيف أتوا إلى هنا؟

Hebatullah Rizk Essa

الفصل السابع عشر

"عودة الكوابيس"

هل ما أراه حقيقة أم أنني داخل حلم؟ وقفت مدهوشة للحظات قبل أن أتقدم نحوهم وأسألهم السؤال البديهي: كيف أتيتم إلى هنا وأنا لم أنم بعد لأحلم بكم؟!

أجابتني هنية الكبرى: ليس لنا مكان أو زمان محدد يا هنية، سنأتي في أي وقت وأي مكان طالما كان الأمر هامًا، أخبرينا بما حدث معك منذ أفقتِ من غيبوبتك؛ فمنذ ذلك الوقت لم نتقابل ولا نعلم خطتك للانتقام.

أجبتها بخيبة أمل: أي انتقام؟ لقد تحطمت كل آمالي.

سألتني بخوف: كيف؟ ما الذي حدث؟ أمات سيد قبل أن ننتقم منه؟

أخبرتهم بكل ما حدث معي منذ أفقت من غيبوبتي حتى تلك اللحظة التي نحن فيها، بعدما سمعوا ما عرفته اليوم خابت آمالهم هم أيضًا واعترانا الصمت لا ندري ماذا نفعل؟

سألتني هنية: هل يأستِ وستتوقفين عن تحقيق هدفك؟

أجبتها بكل إصرار: لست أنا من تيأس، سأبحث عنه إلى أن ينتهي عمري، لن أَكِلّ ولن أَمِل أبدًا، سأجده وسأنتقم منه بإذن ربي، لن يفلت مني هذا اللعين ولو كان في آخر الأرض، لن يرحمه مني سوى الموت، وأرجو أن يكون حتفه على يدي أنا، طال الزمان أو قصر فسأنتقم منه ولتترقبوا ذلك!

قالت هنية الكبرى بتوجس: أخشى عليك يا هنية، لا تدمري حياتك وترهنيها للانتقام، لقد أتينا لنخبرك أن تفكري مجددًا وتهتمين بنفسك وتلتفتين لحياتك ويكفي أعمارنا التي ضاعت، لا نريدك أن تعيشي ما عشناه، ها هو قد ترك البلد كلها فلا تبحثي عنه واتركيه لقدره فالله هو المنتقم ولن يتركه ينجو بفعلته.

نظرت إليها وقلت بإصرار: لقد حددت هدفي ولن أحيد عنه إلى أن أموت، لا تأتوا إلي مجددًا إن لم تعينوني على ما أصبو إليه، والآن اذهبوا من هنا، أريد أن أبقى وحدي.

نظروا إلى بعضهم البعض وقد ارتسمت معالم الحزن على ملامحهم ثم اختفوا من أمامي. ذهبت إلى غرفتي وارتميت على سريري واستسلمت لأفكاري التي بدأت تنهش عقلي مرة أخرى، بقيت أنا وأفكاري بين شد وجذب إلى أن أنهكتني ونمت دون أن أشعر.

من أنت؟ وكيف دلفت إلى غرفتي؟!

ضحك بصوت عالٍ خشيتُ أن يسمعه الجيران فيظنون بي الظنون، فقلت له: توقف عن الضحك وأخبرني من أنت؟

قال وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة: أتبحثين عني ولا تعرفين من أنا؟ أتحملين في قلبك كل هذا الحقد لي ولا تعرفين من أكون؟ أتودين الانتقام مني ولا تعرفين ملامحي؟ أحقًا ما زلتِ ترين نفسك ذكية؟ فلتبحثي كثيرًا أيتها البلهاء، فلتقضي جُل عمرك بل كل عمرك في البحث، لن تعرفي مكاني ولو عرفتِه لن تستطيعي الانتقام مني قط، فأنا لست بهين، لا تعرفين من أنا ولن تعرفي، أتعلمين يا هنية؟ كان هناك حمقاء مثلك استطعت أن أنتهي منها بسهولة فهل تودين اللحاق بها؟

ثم ضحك ضحكات شريرة وبعدها اختفى واستيقظت من نومي وأنا أتصبب عرقًا، لقد كان حلمًا بل إنه كابوس، ما قصتك مع الأحلام يا هنية؟! ألن ترتاحي منها قط؟ أَكُتب عليكِ أن تَعْلقي في دائرة الكوابيس ولا تجدين للنوم طعمًا ولا راحة؟ ما ذنبي في كل ما حدث؟ يقولون هنية! ولكن أين الهناءة تلك؟ كل الناس لهم من أسمائهم نصيب إلا أنا، نصيبي هو عكس اسمي دائمًا، حتى نومي لا أهنأ به من الكوابيس، ولا أهنأ في نهاري من التفكير، أكاد أجن! فهذا كثير على عقلي وقلبي، أما آن لهذا القلب أن يرتاح؟ أما آن لهذا العقل أن يهدأ؟ أما آن لهنية أن تصبح هنية؟

كنت جالسة على سريري أمسك برأسي أكاد أجن من التفكير وبقيت هكذا حتى الصباح، تأهبت ككل يوم وذهبت إلى عملي، ماذا؟ أتتساءلون ما فائدة الذهاب لعملك وقد تبدل كل شيء؟ ينبغي أن أذهب؛ لأتعيش منه، ولأستمر في البحث عن خيط يدلني. ليتني أجد من يعينني في مسعاي، ولكن كيف هذا؟ ومن سأأتمن على سري ذاك؟ الأمر غاية في الخطورة والصعوبة، أصبحت أخشى كل البشر وأخاف منهم إلا الطبيب، مهلًا يا هنية! الطبيب! لمَ لا تجعلينه يساعدك؟ اصمتي يا بلهاء، لو أخبرتيه أنك كاذبة فسيكرهك ولن يساعدك، اتركي الأمر لله يدبره لكِ.

وصلت إلى عملي، وجدت.. ما اسمه؟ لقد نسيت، نظرت للافتة فتذكرت الاسم، اسمه ماجد، وجدت ماجد

يفتح المحل كالعادة وما إن رآني حتى ابتسم بحبور وقال لي ببشاشة: صباح الخير يا هنية، ما هذا؟ لمَ عيناك منتفختان هكذا؟! أكنتِ تبكين؟

تبدلت بشاشة وجهه إلى خوف واضح عندما اقتربت منه ورأى وجهي فرددت تحيته ودلفت للداخل وتجاهلت سؤاله فدلف خلفي وسألني مرة أخرى بقلق: هنية! أخبريني ما بك؟ هل أنت مريضة؟

اضطررت لأجيبه، يبدو أنه لن يصمت فقلت: لا شيء، مجرد كابوس، فلم أنم جيدًا.

قال لي بحنان: ولمَ أتيتِ؟ عودي لبيتك لتستريحي.

قلت له: لا، حتى لو عدت لن أستطيع النوم مرة أخرى.

سألني باندهاش: ولم؟ إن الكوابيس لا تأتي نهارًا، اذهبي خذي قسطًا من النوم أريحي رأسك ثم عودي وقتما تستيقظي.

قلت له وأنا أبتسم بسخرية من حالي: إن كوابيسي ليست لليل فقط؛ هي تأتي في أي وقت أنام فيه!
وأحيانًا أجد نفسي أنام مجبرة لتأتيني الكوابيس رغمًا عني كأنني دُفعت إلى النوم دفعًا.

نظر إلي نظرات حزينة وقال بحنو بالغ: إذًا فاجلسي واستريحي ولا تبذلي مجهودًا، هل تناولت إفطارك؟

حركت رأسي نفيًا فقال لي بعتاب: لمَ لمْ تتناولي إفطارك؟ أتمزحين يا هنية؟ إنكِ تقتلين نفسك؛ لا نوم ولا طعام، ستنهار أعصابك، هيا اجلسي هنا وانتظريني ريثما أعود.

تركني وذهب فغاب قليلًا ثم عاد وقد جلب لي إفطارًا وأجبرني على تناوله، بعد أن أنهيت إفطاري أعد لي فنجانًا من القهوة المضبوطة كانت أجمل ما تذوقت! يا له من بارع! شعرت بعدها أن مزاجي تحسن قليلًا وها قد أتى الزبائن فقمت لأباشر عملي فبادرني قائلًا:
استريحي أنتِ.

وقام هو يباشر العمل طيلة اليوم ولم يتركني أتحرك من مكاني قط إلا للصلاة. ما هذا الحنان البالغ المفاجئ؟ أهذا من كاد يقتلني عندما طلبت منه أن

أعمل لديه؟! المهم أنه تغير فليس لدي طاقة لمزيد من الكراهية.

انتهى اليوم وليته ما انتهى؛ فهكذا سأعود للبيت والكوابيس مرة أخرى، أراد ماجد أن يوصلني للمنزل فرفضت بشدة وتركته وذهبت، ما إن وصلت حتى وجدت الطبيب يقف تحت البيت مستندًا إلى سيارته وفور أن رآني سألني بلهفة: أين أنتِ يا ابنتي؟ لقد قلقت عليكِ، منذ الأمس وأنا أهاتفك ولكن لا تجيبين، ماذا حدث لك؟

أجبته بوهن: لا شيء يا أبي، لا تقلق علي فأنا بخير، فقط نسيت الهاتف.

تنفس الصعداء ثم قال: حمدًا لله أنكِ بخير يا صغيرتي، يبدو أنكِ مرهقة للغاية، هيا اصعدي لشقتك واستريحي ولا تنسي أخذ هاتفك معكِ في الغد لأطمئن عليكِ، تصبحين على خير يا صغيرتي.

قلت له بحنان: وأنت بخير يا أبي، لن أنسى إن شاء الله، لا تقلق علي فأنا قوية.

قال لي بعطف: أعلم يا صغيرتي، ولكنه قلق الأب ماذا عسانا أن نفعل حياله؟

أجبته بابتسامة: لا حيلة لنا في ذلك، فمن هو مثلك لا يستطيع أن يكف عن الحنان.

ابتسم لي ثم ودعني ورحل فدلفت إلى المنزل وصعدت إلى شقتي وأغلقتها بإحكام خلفي ثم دلفت إلى غرفتي بدلت ملابسي ونمت. لم أكد أنم قليلًا حتى أتاني نفس كابوس الأمس ونهضت منه مفزوعة ولم أستطع معاودة النوم. عندما ذهبت لعملي في الصباح وفور أن رآني ماجد حتى قال: أهو الكابوس مرة أخرى؟

حركت رأسي إيجابًا فرأيت الحزن في عينيه ولكنني تجاهلته. مر اليوم ككل يوم والليلة ككل ليلة وها قد مرت أربع ليالٍ لم أنم بهم جيدًا. وأنا في المحل في اليوم التالي هاتفني أبي ليطمئن علي فطمأنته وفور أن أنهيت المكالمة وجدت ماجد يقف أمامي وينظر لي بغضب ويسألني: من هذا الذي كنتِ تهاتفينه؟

أجبته وقد تملكتني الدهشة من أسلوب سؤاله: ولمَ تسأل؟ هذا شيء يخصني وحدي.

فقال بنفس النبرة: هذا وقت العمل لا وقت المهاتفات الغرامية.

نظرت له باستهجان وقلت بغضب: مهاتفات غرامية! أأنت مجنون؟ إنه أبي وليس كما تظن.

فقال لي بعدم تصديق: لقد أخبرتني من قبل أن أباكِ قد مات! فكيف يكون هذا أباكِ؟!

أخبرته سريعًا وبغضب قصة أبي الطبيب وفور أن أنهيتها اعتذر لي ولكن لم أتقبل اعتذاره، حاول مرارًا ولكنني شعرت أن تكرار اعتذاره هذا سبب لي تشوشًا في رأسي مما جعلني أفقد الوعي رغمًا عني. بعد مدة استيقظت لأجد نفسي في سريري وبجواري أبي الطبيب وماجد وصاحب البيت وزوجته، كانوا جميعهم ينظرون لي بقلق وعطف ومحبة صادقة تلمع في أعينهم فحاولت النهوض فأعانتني زوجة صاحب البيت السيدة رقية وأجلستني فشكرتها، تكلم ماجد بنبرة نادمة واعتذر لي عما فعله فأخبرته أنني سامحته وأنه ليس السبب الرئيسي فيما حدث. ثم نظرت إلى أبي وسألته: كيف عرفت ما حدث؟ وكيف أتيت أنا إلى هنا؟ فقد فقدت وعيي في المحل وليس هنا!

نظر لماجد وقال بامتنان: عندما فقدتِ وعيك هاتفني ماجد من هاتفك وأخبرني بما حدث فهرولت إلى حيث أنتما وأحضرناكِ إلى هنا فرآنا السيد علي وزوجته السيدة رقية فأتيا معنا ليطمئنا عليكِ.

شكرتهم جميعًا على حسن صنيعهم. بعد أن اطمأنوا علي تركوني وذهبوا وقبل أن يذهب ماجد أخبرني أن لا أذهب إلى العمل حتى أصبح بخير. بعد أن ذهبوا أدت الحقنة المهدئة مفعولها ونمت دون أن أشعر وهذه المرة نمت بعمق دون كوابيس. في الصباح شعرت أنني بخير فذهبت إلى العمل، فور أن رآني ماجد هرول إلي ليطمئن على حالي فأخبرته أنني بخير، فسألني بعتاب: لمَ أتيتِ؟ ألم أخبرك أن تستريحي؟

أخبرته أنني بخير وأن العمل أفضل بالنسبة لي من أن تنهشني الأفكار في وحدتي. قطع كلامنا صوت هاتفه يرن فإذا به المُوَرد الذي يستورد التحف ويبيعها لأصحاب المحلات، طلب من ماجد أن يذهب إليه ليأخذ حصته من البضائع فغضب ماجد وسأله لمَ لم يرسلها ككل مرة؟ فأخبره أن السيارة في الصيانة والعمل كثير هذه المرة. أغلق ماجد الهاتف بعصبية وفتح درج المكتب وأخذ منه مفتاح الخزنة ففتحها وأخذ أموالًا وأغلقها وذهب مسرعًا ولكنه نسي أن يغلق الدرج فذهبت إليه بعد خروجه لأغلقه ريثما يعود لئلا يسرقه

أحد دون أن أنتبه. عندما أردت أن أغلق الدرج وجدت بداخله شيئًا جذب انتباهي فأخذته دون وعي فوجدته أجندة كبيرة بعض الشيء ففتحتها لعلي أجد بها ما يدلني على سيد، أغلقت الدرج وجلست على كرسيه وفتحتها لأقرأ فإذا بها مذكراته وتفاجأت مما وجدته مكتوبًا فيها! لقد كانت حديثة وقد كتب فيها.....

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الثامن عشر

"مذكرات"

"كان يومًا عجيبًا ذاك الذي أتت فيه تلك الفتاة إلى المحل تطلب عملًا، فتاة عجيبة شعرت بالريبة منها ولكن لم أستطع إلا أن أوافق ولا أدري لماذا لم أرفض؟ هل سحرتني تلك الفتاة؟ كانت ثرثارة جدًا وقت طلبت العمل وذلك أخافني فأنا أبغض الثرثرة، لكنها بعد ذلك أصبحت لا تنطق إلا للضرورة فقط، هل أخافها تحذيري؟ لا أدري، ربما لأنها أثارت فضولي وافقتُ على عملها معي، أشعر أنها تخبئ أمرًا ما، تُرى ما هو؟ يوم بعد يوم عرفتها أكثر واكتشفت أنها ألطف وأرق مما ظننت، لكن أمر كوابيسها هذا أقلقني عليها؛ لا تنام ولا تأكل ولا أستطيع مساعدتها حتى ضعفت وفقدت وعيها وكنت أنا السبب لكن لا أدري لمَ شعرت بالغيرة عندما سمعتها تتحدث في الهاتف؟ وعندما فقدت وعيها ارتجف قلبي وكدت أموت خوفًا عليها، أشعر بالسعادة عندما أراها ولكن ما تلبث سعادتي أن تتحول إلى حزن لحالها جراء تلك الكوابيس، لمَ تؤثرين بي هكذا يا هنية؟ أهو الحب يا ترى؟!"

لا أصدق ما تراه عيناي مخطوطًا في مذكرات ماجد! أكل هذا عني أنا؟ أيعقل أنه أحبني؟ كيف ومتى؟ لم

يعرفني إلا منذ وقت قريب فكيف تعلق بي هكذا؟ لا أدري ماذا أقول ولا ما ينبغي أن أفعل لأجعله يبغضني ولا يتعلق بي فقلبي ليس للحب هو مفعم بالرغبة في الانتقام وفقط.

أعدت المذكرات لمكانها وأغلقت الدرج وباشرت عملي إلى أن عاد ماجد من الخارج ومعه البضاعة الجديدة فنقلها العمال المأجورين إلى المخزن ثم بعد أن انتهوا وذهبوا جلس على كرسيه بإرهاق شديد فجلبت له ولي الغداء وجلسنا نأكل وفي أثناء ذلك لاحظت نظراته لي والتي فهمت الآن أنها نظرات إعجاب وربما يخالطها بعض الشغف لمعرفة سري فوجدت نفسي أقول له دون وعي مني ولا أدري لمَ قلت هذا ولكن شعرت أن شيئًا ما يحركني: أستاذ ماجد، أود أن أخبرك بأمر هام عن حياتي قبل الحادث.

اعتدل في جلسته ونظر لي بفضول وقال: ما هو؟

فقلت له: ليس الآن، بل بعد انتهاء وقت العمل سأخبرك به أنت وأبي وصاحب البيت وزوجته فأنا أحتاج رأيكم ومساعدتكم فهل تقبل بأن تساعدني مهما كان الأمر؟

أجابني دون تردد: أقبل بالطبع، أنا معك في أي شيء تحتاجينه.

نظرت في الفراغ أمامي ثم قلت له: حسنًا، سأذهب مبكرًا إذا سمحت لي وسأنتظركم في بيتي الساعة التاسعة إن شاء الله.

هز رأسه موافقًا فاستأذنته لأتصل بأبي لأخبره فوافق. عندما أخبرت أبي شعر بالقلق ولكن لم يتبق وقت طويل وسيزول قلقه وأتمنى ألا يبغضني حين يعرف حقيقتي. عند السابعة مساءً استأذنت ماجد وعدت إلى بيتي وقبل أن أصعد شقتي عرجت على شقة السيد علي وزوجته وأخبرتهما بأن يصعدا إلى شقتي في تمام التاسعة لأنني أحتاجهما في أمر هام فوافقا على الفور ولم يسألا عن كنهه، يا لهما من طيبين! أحببتهما في تلك المدة القصيرة.

دقت الساعة التاسعة فدق باب بيتي معلنًا وصول ضيوفي ففتحت لهم الباب وأدخلتهم وبعد الترحيب بهم جلسنا، وبعد صمت دام لحظات بادرني أبي متسائلًا: ما الأمر يا هنية؟ هل أصابك مكروه؟ لقد أقلقتني يا ابنتي.

نظرت له بتوتر وقلت: لا تخف يا أبي، أنا فقط لدي قصة أود إخباركم بها.

لزمت الصمت للحظات ثم بدأت أسرد لهم ما سبق أن حدث لي وما أخبرتني به هنية الكبرى، وكلما أخبرتهم بالمزيد تزداد دهشتهم، وبعد أن انتهيت من سرد قصتي عاودت الصمت مرة أخرى لبعض الوقت ثم تابعت: لم أستطع أن أتحمل هذا السر وحدي لأكثر من هذا فأردت أن أشارككم به لترشدوني ماذا أفعل فأنا لا أعرف غيركم وأثق بكم فهل ستساعدونني في رحلة انتقامي؟

أجابني أبي: أنا أخشى عليك يا ابنتي، لا أريدك أن تورطي نفسك في رحلة لا نعلم نهايتها هل هي خير أم شر؟

قلت له: لا تخشَ علي يا أبي، لن أحيد عن مسعاي حتى لو كلفني الأمر حياتي.

قالت السيدة رقية بحنان بالغ: نحن لم ننجب لكن عندما رأيناكِ أحببناكِ وشعرنا أنكِ ابنتنا لذا فنحن نخشى عليكِ نحن أيضًا ولا نود خسارتك، فأرجوك انفضي فكرة الانتقام من رأسك يا ابنتي.

ثم تابع السيد علي: أعلم أن ما حدث لك ولأهلك ولهنية وأهلها ليس هينًا ومن حقك أن تنتقمي، ولكنكِ ستضيعين حياتك دون جدوى وستندمين على ذلك فأرجوك توقفي من الآن.

نظرت لماجد وقلت له: ألا تود أن تقول شيئًا أنت الآخر؟

نظر لي للحظات ثم قال: لقد فهمت الآن سر عملك معي وسر هذا المحل، لا ألومك ولا أنكر حزني لمعرفة الحقيقة فقد آلمتني لما حدث معكم ولشككِ بي أيضًا ولكن أود أن أقول لك أن الانتقام يكون بتسليمه للعدالة وليس بيدك.

انفعلت وقلت لهم بحدة: لم لا تفهموني؟ أتظنون أنني سأقتله بيدي؟ كلا يا سادة، كل ما أود فعله أن أعرف أين هو وأستدرجه إلى هنا وأجعله يعترف بما فعل ثم أسلمه للعدالة، ألا ترون أن هذا الانتقام عادل؟ أم تظنون أنني مجرمة وقاتلة مثله؟

صمتنا جميعًا ثم نطقوا تباعًا بجملة واحدة: نحن معك يا هنية، سنساعدك في مسعاك أيًا كانت نهاية الطريق.

نظرت لهم والدموع تملأ عيني ثم قلت في حبور: هذا ما توقعته منكم، أشكركم من قلبي.

سألني أبي: ما خطوتك التالية يا هنية؟

قلت له: لقد قَتل أبويّ منذ أكثر من شهرين وهذا يعني أنه غادر البلد بعدها وليس منذ باع المحل كما أوهم أبا ماجد، ليتني أعرف أحدًا يعمل في المطار فأسأله عن المسافرين في ذلك الوقت وأعرف إلى أين ذهب؟

صاح ماجد فجأة: أنا سأجده.

تساءلنا جميعًا بدهشة: كيف؟

فقال: .....

Hebatullah Rizk Essa

الفصل التاسع عشر
"رحلة البحث"

وحدي لن أستطيع فعل شيء؛ لكي يكتمل انتقامي لا بد من أن يساعدني أناس أثق بهم وها قد وجدتهم وأرجو أن أكون وُفِّقْتُ في اختياري، ويبدو أنني كذلك فعلًا فقد قال ماجد: لقد تذكرت أن أحد زبائني يعمل في شركة الطيران في إدارة حجز التذاكر، وهو عاشق للتحف ويحب شراء الفريد منها، وقد اشتريت اليوم قطعة مميزة وفريدة سأهاتفه وأخبره عنها وأنا متيقن أنه سيأتي فورًا ليحصل عليها، وسأعطيها له كهدية وأسأله أن يبحث عن تلك الرحلة التي سافر على متنها المدعو سيد وأرجو أن يفيدنا.

صاح أبي بحماس: فكرة جيدة يا ماجد، هيا هاتفه الآن.

ولكنني بادرته بقولي: انتظر! هذه التحفة غالية كيف ستهديه إياها؟

قال ماجد بهدوء: من أجل هدفك يا هنية سأفعل أي شيء.

لم أستطع الرد فأخرج هاتفه وهاتف ذلك الرجل وأخبره أنه سينتظره غدًا في المحل ليحصل على تلك التحفة الثمينة فرحب الرجل بحبور ووعده بالقدوم.
انتهى ماجد من مهاتفته للرجل واستأذنوا جميعًا ليغادروا فودعتهم وأغلقت الباب وتوجهت لغرفتي لأخلد للنوم الذي أصبحت أهابه بشدة وقد صدق حدسي فما إن أخلدت للنوم حتى رأيته مرة أخرى ولكنه هذه المرة كان مرعبًا!

لقد رأيته يرتدي زي الرهبان في العصور الوسطى ويمسك بقوس وسهم ويطاردني ويرمي بسهامه باتجاهي، كان المكان مهجورًا وكنت أهرب منه وأختبئ خلف الجدران فيلحق بي فأهرب منه حتى وجدت نفسي في منطقة واسعة ليس بها جدران أختبئ خلفها فتملكني الرعب ولم أعرف ماذا أفعل وكيف أنجو حتى اقترب مني وبيده قوسه وسهمه وعلى ظهره جعبة سهامه، وما إن أصبح أمامي مباشرة حتى ألقاهم على الأرض وقال: لست بحاجة لسهم لأتخلص منكِ فأنا أستطيع قتلك بيدي بسهولة بالغة، وإن قتلتك هنا فستموتين في الواقع لأنك هنا بجسدك وروحك وليس مجرد حلم، استعدي للموت يا فتاة.

اقترب مني وأمسك برقبتي يحاول خنقي وكدت أن أستسلم له ولكنني قررت أن أقاوم لآخر رمق. أمسكت بذراعيه محاولة نزعهما عن رقبتي وبعد جهد جهيد

نجحت في ذلك وألقيت به أرضًا، جثوت بركبتيّ فوق صدره وأمسكت بوجهه بكفيّ وضغطت عليه فتهشم تحت يدي وأصبح هشًا كأنه من زجاج وليس من عظم صلب، بعد أن تهشم وجهه وجدته يتحول لوجهه وهو طفل ثم لوجهه في كل مراحله العمرية حتى انتهى لشكل وجهه وهو عجوز كما رأيته في أحلامي السابقة وبعدها تحول للون الأسود المرعب فارتجف قلبي، حدث كل ذلك في لحظات معدودة وقد تملكني الرعب ولكن وجدتني أضغط على صدره حيث قلبه بقبضة يدي وكلما ضغطت أرى يدي تمسك بقلبه داخل جسده رغم أن جسده ليس شفافًا ولا أدري كيف يحدث ذلك؟ لكنني رأيت يدي تمسك بقلبه وتضغط عليه بشدة تعتصره عصرًا حتى انفجر بين يدي وبعدها مباشرة استيقظت من نومي على صوت أذان الفجر! أَكُلَّ هذا الوقت وأنا في هذا الكابوس؟ شعرت عندما استيقظت أنني كنت أحارب بالفعل فجسدي منهك ويتصبب عرقًا وما زال قلبي يرتجف بقوة، يبدو أن ما قاله صحيحًا وأنني كنت في الكابوس بجسدي وروحي بالفعل وليس مجرد حلم! يا لهول ما أمر به كل ليلة! ألن أهنأ بنوم قط؟ ماذا فعلت في حياتي لأصاب بهذا الابتلاء الشديد؟ لا تقنطي من رحمة ربك يا هنية، هو اختبار وستنجحين فيه بإذن الله.

صليت الفجر وبقيت مستيقظة أبكي حتى الصباح ثم ذهبت لعملي وما إن وصلت حتى سألني ماجد: لم عيناكِ منتفختان؟

فأجبته بكلمة واحدة: كابوس!

نظر لي بعينين حزينتين ولم يتكلم فسألته: متى سيأتي الرجل؟

أجاب: لقد اتصل بي وأخبرني أنه سيأتي بعد انتهاء عمله ليلًا.

فقلت: حسنًا، فلننتظر.

باشرت عملي حتى أتى الوقت المحدد وأتى الرجل فرحب به ماجد بحرارة وأراه التحفة التي نالت إعجابه بشدة وسأل ماجد قائلًا: إنها تبدو باهظة الثمن للغاية، ما سعرها؟

فقال له ماجد: إن ثمنها هو خدمة بسيطة أرجوها منك.

فتعجب الرجل وتساءل: ما هي تلك الخدمة؟

فقال ماجد: هناك شخص ما سرقني وهرب منذ شهرين لخارج البلاد، أود منك أن تعرف إلى أين سافر ومتى، وهل عاد للبلد مرة أخرى أم لا؟

سأله الرجل: ما اسمه؟

أجابه ماجد: سيد وجدي، هل ستستطيع تنفيذ هذه الخدمة؟

أجابه الرجل بثقة: بالطبع سأستطيع، في الغد إن شاء الله سأبحث عنه، ولن أهنأ بالًا حتى أجد لك كل المعلومات المطلوبة عنه، وسأبلغك بما سأصل إليه.

ابتهج ماجد وشكره ثم أعطاه التحفة وودعه وذهب.
بعد أن ذهب الرجل أغلقنا المحل وذهب كل منا إلى بيته ومن شدة حماسي لمعرفة ما سيكتشفه الرجل بقيت مستيقظة حتى الصباح ولم أحاول النوم فأنا أعرف جيدًا ما سيحدث في نومي فآثرت الاستيقاظ.
أشرقت الشمس معلنة بداية يوم جديد غير أي يوم مضى فذهبت إلى عملي بكل حماس وانتظرت طيلة

اليوم بشوق اتصال الرجل ليخبرنا بما توصل إليه، مضى اليوم بطيئًا جدًا ونحن ننتظر حتى أتى وقت الغداء وكنا نجلس على المكتب نتناول الطعام وإذ بهاتف ماجد يضيء معلنًا عن وصول اتصال من "عاصم عثمان" وهو اسم الرجل الذي يعمل في المطار فتناول ماجد الهاتف بلهفة وأجاب الاتصال وبعد دقائق أنهى المكالمة ووجهه عابث فسألته بقلب يرتجف: ماذا قال لك؟

أجابني بحزن: قال أن هذا الاسم لم يحجز أي تذكرة خارج أو داخل البلد قط في خلال الشهرين الماضيين حتى تاريخ اليوم.

قلت له: ماذا؟ أيعني ذلك أنه ما زال في داخل البلدة؟ هذا جيد، سنبحث عنه هنا أفضل من الخارج.

قال ماجد بتوتر: أعلم أن هذا جيد ولكن أخشى أن يكون سيئًا في نفس الوقت.

سألته بتوجس: كيف؟ ماذا تعني؟

أجابني بصوت خافت: أخشى أن يكون سيد هذا لا وجود له في الواقع وأن يكون من وحي خيالك فقط.

نظرت له باندهاش قائلة: كيف ذاك؟ لقد قلت أنه من باع لأبيك المحل من قبل فكيف يكون لا وجود له؟

فأجابني: ربما يكون قد سافر من وقتها كما أخبر أبي ولم يعد قط أو ربما يكون شخصًا آخر، أو من الممكن أن يكون قد مات.

قلت له بخوف: أتعني أنني أهذي؟!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل العشرون

"نهاية البحث"

هل جننت حقًا وكل ما يحدث لي هذيان بسبب الكوابيس أم أنني في كابوس طويل لم أستيقظ منه قط؟ ليتني أعرف الحقيقة ليرتاح عقلي ويكف عن التساؤل!

هنية! فيم أنت شاردة؟

كان ذلك صوت ماجد الذي أخرجني من شرودي فانتبهت له وسألته مجددًا: هل تعتقد أن كل ما أنا فيه من صنع خيالي وأنني أهذي؟ أتظن ذلك حقًا؟

فأجابني: بالطبع لا، ربما الكوابيس هي من صنع خيالك نتاج خوفك من القادم أو رفضك للماضي، لكن ما حدث من سيد لأهلك ولهنية وأهلها لم أسمع به من قبل، لكن سيد شخصية حقيقية وهو من باع المحل لأبي فكيف لا أصدقك؟

سألته: إذًا بم تفسر عدم عثورنا عليه حتى الآن؟ كأنه اندثر في الهواء! أيعقل أنه قد مات؟ أم أنه سافر منذ باع المحل لأبيك ولم يقتل أهلي؟

قال ماجد متسائلًا: أين ذهبت أمه وأخواته يا تُرى؟ هن شريكاته في الجرائم التي ارتكبها وينبغي الانتقام منهن أيضًا ولكن أين ذهبن؟ أتذكرين عنوان القصر يا هنية؟

أجبته بحزن شديد: كلا.

فسألني: ولا تعرفين عنوان المدرسة التي كانت فيها هنية؟

أجبته: كلا.

فكر قليلًا ثم قال لي بنبرة المنتصر: وجدتها.

سألته باندهاش: ماذا وجدت؟

فأجابني بحبور: العقد، عقد المحل الذي عقده سيد بينه وبين أبي عندما باع له المحل، أعتقد أنه ربما يوجد به رقم بطاقة الرقم القومي الخاص به وإن وجدته يمكنني الكشف عنها ومعرفة عنوانه.

ابتهجت لسماعي هذه الكلمات وطلبت من ماجد أن يبحث عن العقد سريعًا فذهب إلى منزله وبعد ساعتين عاد بعد أن أنهكه البحث حتى وجده وأحضره معه فوجدنا أن العقد به عنوان منزل سيد فأغلقنا المحل وذهبنا إلى ذلك العنوان فوجدناه بيتًا ضخمًا يشبه قصور النبلاء ولكن وجدناه موصدًا وقد صدأ قفله فيبدو أنه أُغلق منذ مدة ليست بالقصيرة! وجدنا قصرًا آخر في الجهة المقابلة فتوجه ماجد نحوه وسأل الحارس عن أهل هذا القصر فأخبره أنه لم يبق منهم غير سيد وأنه اختفى منذ ما يقارب الشهرين ولا يعلم أحد إلى أين ذهب. اجتاحني شعور مزيج من الإحباط والألم مع بعض الأمل؛ إحباط وألم لعدم معرفة مكان سيد، وأمل لأنني لا أهذي وهو موجود بالفعل وليس مجرد ترهات يصنعها عقلي. أخذني ماجد للمنزل وطلب مني أن أستريح ولا أذهب للعمل باقي اليوم ثم تركني وعاد للمحل. صعدت إلى شقتي وفور أن دخلتها ذهبت إلى غرفتي وارتميت على سريري أفكر في أين يمكن أن يكون قد ذهب حتى غلبني النوم فرأيت كابوسًا آخر كعادتي؛ رأيت أنني تائهة في مكان واسع لا أعرف عن ماذا أبحث أو عن من؟ فجأة وجدتني في غرفة عمليات وسيد مستلقي على سرير وغير مُخدر وأنا أقف أنا وأبي الطبيب ومعه منشار يقطع به قدم سيد ببطء شديد وهو يتألم بشدة وأنا أنتشي من السعادة، ما زال أبي يقطع حتى انتهى منها فعمد إلى القدم الأخرى من عند الركبة أيضًا فقطعها على مهل ثم

بعد أن انتهى أخذ يقطع باقي قدميه لقطع صغيرة وهو يستغيث من شدة الألم ولكن ما من مجيب، كان قلبي يتراقص طربًا لسماع أنينه وصراخه وكلما سعدت أكثر قطع أبي أجزاء أكثر حتى انتهى من كلتا قدميه وارتاحت نفسي لهذا الانتقام فطلب أبي إبرة وخيط ليخيط جراحه فخرجت مهرولة أبحث عنهما فإذ بي أسقط في ترعة عميقة مقززة وأحاول أن أستغيث ولم أستطع وبعد عدة محاولات للنجاة أخرجتني من تلك الترعة امرأة تتشح بالسواد ووجهها مغطى فأخذتني وأعطتني ملابس جافة فأبدلت ملابسي وخرجت لأشكرها فكشفت عن وجهها فوجدته يحترق فانتفض قلبي رعبًا ولم أستطع التحدث للحظات ولكنها قالت: لا تخافي، أنا هنية.

هدأت نفسي عندما سمعت اسمها وسألتها: لمَ عدتِ؟

فأجابت: عدت لأنقذك يا هنية، ما كنت لأتركك تغرقين.

فقلت لها بسعادة: لقد عذبه أبي منذ لحظات وتركته وهو ينزف.

فقالت بحزن جلي في صوتها: لم يحدث شيء يا هنية، إنه عقلك هو من اختلق ما حدث، لم تعثري على سيد بعد، ويبدو أنك لن تعثري عليه أبدًا.

صرخت بها: لا تقولي هذا، سأجده وسأنتقم منه حتى أرضي نفسي وأرضيكم.

صمتت قليلًا ثم قالت: انتبهي لنفسك يا هنية، لا تتعجلي الانتقام واتركي كل شيء لتدابير الله.

ما كادت تنهي كلماتها حتى اختفت واستيقظت من نومي على صوت هاتفي يصدح في الغرفة معلنًا عن وصول اتصال فتناولته فوجدت أن المتصل هو ماجد فأجبت الاتصال مسرعة فسمعته يقول: هنية، لقد بحثت على موقع السجل المدني على رقم بطاقة سيد فوجدت أن عنوانه نفس العنوان الذي ذهبنا إليه، ثم بحثت على موقع وزارة الداخلية لم أجد عنه أي معلومة، بحثت على موقع مصر للطيران فوجدت أنه قد سافر بالفعل منذ شهرين ولكنه عاد بالأمس! ولا أدري كيف لم يعثر عليه عاصمٍ؟ ولكن كيف عاد ولم نجده في بيته؟ إلى أين ذهب إذًا؟

أجبته: لا أدري، إنني مشتتة ولا أعرف أين أبحث؟

فقال: في الصباح بإذن الله سأتركك في المحل وأذهب إلى المطار أسأل عن موعد رحلته ومع من ذهب، ربما أعرف من السائق إلى أين أخذه؟

فقلت له: فكرة جيدة، سأنتظر حلول الصباح بفارغ الصبر.

أنهينا المكالمة وكان الوقت منتصف الليل، يا الله! أنمت كل هذا الوقت؟ هرعت إلى الصلاة أناجي ربي ليوفقني في مسعاي ويدلني على مكان سيد حتى يرتاح قلبي.

بعد صلاة الفجر وجلسة الأذكار وتناول الإفطار توجهت للعمل مبكرًا اليوم؛ فلم أقوَ على الانتظار أكثر، وصلت إلى المحل وانتظرت حتى أتى ماجد وفتحنا المحل وجهزناه لبدء العمل وأخبرني ماجد أنه سيذهب الآن فإذ برجل يدخل المحل يرتدي النظارات الشمسية التي تطمس ما يقارب نصف وجهه، أخذ يتأمل كل ركن في المحل بناظريه ثم نظر إلينا من رأسينا إلى أخمص أقدامنا ثم قال لماجد: أأنت ماجد بن إبراهيم الرويني؟

فقال ماجد: نعم أنا، من أنت؟

خلع الرجل نظاراته وقال وسط ذهولنا: سيد وجدي!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الواحد والعشرون

"الفخ"

من؟!

نطقتها في نفس اللحظة التي نطقها فيها ماجد فنظر لنا سيد بعدم فهم وتساءل: ما بكما؟ لم كل هذا الاندهاش البادي على وجهيكما؟!

فتدارك ماجد الموقف وأجابه: لا شيء، فقط لم أتوقع قدومك مرة أخرى بعد كل هذه الأعوام.

ضحك سيد ثم قال: ولا حتى أنا كنت أتوقع أن أعود للماضي مرة أخرى، بدون مقدمات وثرثرة لا داعي لها؛ أنا أود أن أشتري منك المحل بأي ثمن تريده.

فغر ماجد فاهه ونظر لي وقد اعترتنا الدهشة مرة أخرى فأرجع ماجد بصره إلى سيد وسأله: ماذا تقول؟ ومن أخبرك أنني أريد أن أبيعه؟ إنه ليس للبيع، فلتعد من حيث أتيت أو ابحث عن محل آخر غيره لتشتريه.

ضحك سيد بصوت مرتفع ثم قال: لن أشتري غيره، وأنت من سيطلب مني ذلك، هذه البطاقة فيها أرقامي خذها واحتفظ بها فستحتاجها عندما تهاتفني وتخبرني أنك مستعد للبيع، ولا تخف لن نختلف في الثمن، سأدفع أي مبلغ تطلبه، فكر لبعض الوقت ولكن لا تتأخر في ردك، سلام يا ماجد.

أدار سيد ظهره لنا وفي لمح البصر اختفى من أمامنا بخفة لا تتناسب مع سنه الأربعيني. كم كنت أود لو قتلته في التو ولكن لا أدري كيف لم أستطع؟ ربما ذهول المفاجأة هو ما لجمني! بعد دقائق من ذهابه سألني ماجد وهو ينظر في بطاقة الأرقام: ما رأيك.

قلت له: لدي خطة ولكن يجب أن نجتمع لننفذها.

اجتمعنا في بيتي بعد وقت العمل أنا وأبي والسيد علي وزوجته ومعنا ماجد، شرحت لهم خطتي وقررنا تنفيذها في الصباح. بعد ذهابهم نمت فحلمت بها؛ الجثة المحترقة، أتت فجلست إلى جواري على سريري وقالت بهدوء وحزن: لقد اقتربت يا هنية من تحقيق هدفك، أعجبتني خطتك ولكن احذري أن تندفعي فتخسرين كل شيء، أتمنى عندما أزورك المرة القادمة

أن تكون آخر مرة بعدما تنهي انتقامك، انتبهي لنفسك جيدًا.

فجأة استيقظت من الحلم وشعرت بفرحة ممزوجة برهبة؛ اقتربت من النهاية! ولكن يا ترى هل ستكون نهايتي أنا أم نهاية سيد؟ مرت الليلة ككل ليلة وفي الصباح توجهت لعملي، وعند العاشرة صباحًا اتصل ماجد بسيد وأخبره أنه سيبيع ولكن بعشرة ملايين جنيه، بعد مفاوضات وافق سيد وقرر أن يأتي في الغد لتوقيع العقود وتسجيلها في الشهر العقاري فأخبره ماجد أنه سيحضر المحامي والشهود ويتكفل بمصاريفهم فوافق سيد.

انتظرنا اليوم التالي بفارغ الصبر حتى أتى سيد تعلو وجهه ابتسامة المنتصر وأول جملة قالها عندما دلف المحل: لقد أخبرتك يا ماجد؛ ستبيع وأنت من سيطلبني لا أنا.

أجابه ماجد بابتسامة مصطنعة: لا أستطيع أن أقول للمال لا.

جلسا على المكتب وبعد قليل وصلت المحامية رقية والشاهدان؛ السيد علي والدكتور خالد عبدالرحمن. وقع سيد على العقود وبعدها توجهوا جميعهم للشهر

العقاري وسجلوا العقود وأخذ كل منهم عقده وعادوا من حيث أتوا. عاد ماجد ومعه باقي الأصدقاء وأعطوني العقد ففحصته بابتسامة وقلب يتراقص طربًا لهذا النصر.

في اليوم التالي أتى سيد يرغي ويزبد وصوت صياحه يرج المكان رجًا، بينما ماجد جالس بهدوء وابتسامته لا تفارق محياه فسأله بهدوء: ما بك؟ لم كل هذا الصياح والضجة؟ ألم تتعلم كيفية الحوار بلطف وهدوء؟ اجلس وأخبرني ما سر صياحك؟

جلس سيد متعجبًا من هدوء ماجد رغم رؤيته لثورانه وقال: العقد الذي وقعته بالأمس، كيف فعلتها؟

تساءل ماجد بهدوء: ما به العقد؟ لقد وقعت عقدًا ودفعت مالًا، ألم تأت اليوم لتتسلم المحل؟

ضحك سيد ضحكة متألمة وقال: أتسلم المحل؟ كيف أتسلمه وأنا لم أشترِه قط؟

سأله ماجد بدهشة مصطنعة: وكيف ذاك؟

ثارت ثائرة سيد ونهض من مكانه صارخًا بماجد: أتمزح معي؟ إن العقد الذي معي ليس هو العقد الذي وقعته أنا، إنه تنازل عن كل أملاكي لفتاة تدعى هنية عبد البر، وحتى أني ذهبت إلى البنك فوجدت أنه تم سحب كل أموالي؛ خمسة عشر مليونًا كل ما أملك تم سحبهم من حسابي باسمك ولم أعد أمتلك ذرة تراب، كيف فعلتها؟ لقد قرأت العقد بندًا بندًا وكان عقد بيع للمحل! كيف بدلته؟

فجأة جاء أبي من خلفه وحقنه في رقبته بحقنة منومة، بعد نحو الساعة أفاق سيد فوجد نفسه في غرفة ضيقة مظلمة وبدأت الأنوار تضيء رويدًا رويدًا حتى اتضحت الرؤية وتفاجأ بنا نحن الخمسة أمامه، أصابه الذهول وأصبح يقلب بصره بيننا بدهشة غريبة وتساءل: ماذا فعلتم بي؟

ضحكنا جميعًا ثم قلت له: لا شيء، فقط خدرناك، صوتك مزعج للغاية فأصابني الصداع لذا خدرناك.

سألني: كيف بدلتم العقد دون أن أشعر، أرشوت المحامية والشاهدان ليكونوا في صفك يا ماجد؟

أجبته بهدوء وأنا أقف بعيدًا بنحو المتر أنا وباقي الأصدقاء عن الكرسي الذي يجلس فيه سيد وهو مقيد جيدًا: لا يوجد محامية، هي صديقتي وهذا زوجها وذاك الطبيب هو أبي وأربعتهم ساعدوني في تنفيذ خطتي للإيقاع بك والتي كانت باختصار؛ أن العقد الذي وقعته أنت كان تحته ورقة وقعتها أنت دون أن تشعر، تلك الورقة هي تنازل عن كل أملاكك لي أنا؛ هنية عبد البر، أما الشيك فبسهولة وضعنا رقم خمسة واستبدلناه بالصفر فأصبحت 15 مليونًا. ستسألني كيف عرفت أنك تملك هذا المبلغ بالتحديد؟ صراحة لم أعرف لكنني قنوعة واكتفيت بهذا المبلغ فقط، أما عقد المحل فقد مزقناه، وبالطبع المحامية هي من أنهت إجراءات التسجيل فتوقعت أنت أنها تباشر عملها ولكنها بالفعل كانت تباشره؛ فقد سجلت العقد عوضًا عني بالتوكيل الذي كنت قد فعلته لها لتسجل العقد بدلًا مني، ها قد أخبرتك بما حدث، ألديك أسئلة أخرى؟

سألني وما زالت علامات الذهول بادية على وجهه: لم فعلتم ذلك؟ أحقًا كنت غبيًا لهذه الدرجة؟ ولكن كيف فكرتم في هذه الخطة بتلك السرعة؟

ضحكت ثم قلت: سرعة! أنا أنتظر هذه اللحظة منذ أشهر.

سألني بدهشة: منذ أشهر! لم؟ أنا لم أرك من قبل ولا أعرفك، فيمَ آذيتك لتفعلي ذلك؟

قلت له بهدوء: أردت الانتقام منك.

فسألني: لماذا؟ ممَ تنتقمين؟ ماذا فعلت لك لتنتقمي؟

نظرت حولي وأنا أقول: فعلت لهم وليس لي فقط.

نظر حيث أنظر وفغر فاهه من الدهشة وهو يقول: هنية!!

Hebatullah Rizk Essa

الفصل الثاني والعشرون والأخير

"لا كوابيس بعد اليوم"

نعم أنا هنية التي قضت حياتها كلها تتعذب منك ومن أهلك، أنا هنية التي أذقتموها مر العذاب ثم قتلتموها وأحرقتموها دون شفقة، أنا هنية التي لم تكن يومًا اسمًا على مسمى، أنا هنية التي أحرقتم قلبها على والديها ثم نفسها، أنا هنية يا سيد التي ادعيت حبها لتأخذ مالها، يدور الزمان وتقع في نفس الموقف وتأخذ أموالك هنية وتقيد في نفس المخزن الذي قيدتني فيه من قبل، وتنتظر نفس المصير.

صرخ سيد وهو يهز الكرسي بجسده ويستغيث بنا ألا نحرقه كما فعل بهنية فقلت له: إذًا اعترف بما فعلته وسنتركك لتعيش.

فقال بنبرة حادة: أعترف بماذا؟ أجننتِ؟ لن أعترف بشيء لم أفعله.

فقلت ببرود: لا عليك، لا يهم، لا تعترف، طالما لن تعترف فموتك أفضل حل، فلا فائدة من حياتك إذًا بعد الآن.

ثم وجهت حديثي لماجد قائلة: ماجد، البنزين.

أخذ ماجد حاوية البنزين وفتحها وبدأ يسكبها حول سيد على الأرض وحواف الكرسي ثم تقدم نحوه وكاد يصبها عليه لكن سيد صرخ بقوة: توقف! حسنًا، حسنًا، سأقول الحقيقة، ولكن اؤمريه أن يتوقف أرجوكِ.

نظرت لماجد فتوقف عن صب البنزين ولكنه ظل واقفًا إلى جانبه فهدأ سيد وبدأ يعترف بما فعله قائلًا: لقد أخبرتني أمي أنها هي من قتلت أمك ودبرت لقتل أبيك، وهي من دفعت لمعلمات المدرسة ليعذبنك كل هذا التعذيب، كانت تأمل أن يقتلك التعذيب لكنه لم يفعل، وبعدما تركت المدرسة كنت أنا أدرس بالخارج وقد انتهيت من دراستي وقتها وحان وقت عودتي لمصر فأمرتني أمي أن أقيم بعيدًا وأن أعيد فتح محل أبيك، نعم هو محل أبيك وأقنعناك أنه محلي أنا حتى لا تشكين بأمري، وبعدما خدعتك باسم الحب وطلبت يدك وافقت أمي على الفور فهي خطتنا منذ البداية، ولكن لم يكن هناك زفاف ولا عقد قران بل كان عقد تنازل عن كل أملاكك باسم أمي وبعدها أخبرناك بذلك وأتيت بك إلى هنا وقتلتك ثم أشعلت النيران بالمخزن لأتأكد من وفاتك وبالفعل احترقت حتى تفحمت ثم دفناك بجوار أمك وأبيك واعتقدت أنني تخلصت منك للأبد ولكنك كاللعنة

لا خلاص منك، وهذا المحل احترق بالكامل فبعته لوالد ماجد وتوقعت أنه سيغير اسمه لكنه لم يغيره فظل اسمه "أنتيكات هنية" كما أسماه أبوك وكأن اسمك أيضًا لعنة أخرى تطاردني! بعد وفاتك تحكمت أمي بأموالك أكثر فأكثر وضيقت علينا في المعيشة ورفضت أن تعطي أيًا منا أي شيء من ثروتك حتى أن أختي الكبرى مرضت مرضًا شديدًا واحتاجت الأموال لتتعالج ولكن أمي رفضت فقد بلغ بها عشقها للمال أن فضلته على ابنتها التي قتلها المرض وبخل أمها، عشنا سنوات في ذل وليس هذا وحسب بل رفضت تزويجنا حتى لا تنفق مالًا أو أن يأتي أشخاص أغراب يستمتعون به بعد وفاتها، لكنها لم تمت لقد عمرت طويلًا فماتت أختاي وما زالت هي بصحة جيدة وقد تقدم بي العمر وشارفت على الأربعين وأوشكت أن أصبح كهلًا ولم أستمتع بالمال قط الذي قتلتكِ من أجله وهي تزداد شبابًا وقوة فقررت قتلها وبالفعل وضعت لها ثعبانًا في فراشها فلدغها وماتت من فورها، ربما تتساءلون كيف نجوت بفعلتي تلك، لقد بلغ بها شدة بخلها أن سرحت كل الخدم حتى امتلأت الحديقة بالحشائش الضارة التي بلغ طولها مبلغًا عظيمًا وأخبرت الشرطة أننا دائمًا ما نجد فيها ثعابين وأن غرفة أمي في الطابق الأسفل وكثيرًا ما تترك النافذة مفتوحة ولربما دخل منها الثعبان فصدقوني وأقفلت القضية وتم دفنها والخلاص منها نهائيًا، عشت بعدها في سعادة ورغد من العيش واستثمرت الأموال في

أكثر من مشروع واستمتعت بالمال أيما استمتاع وغرقت في الملذات وتزوجت أكثر من مرة وطلقتهن بسبب أنني لا أنجب وكنت أظن أنهن العقيمات وليس أنا، لم يقتل فرحتي إلا عدم إنجابي وتلك المرأة المسماة سلوى؛ لقد أتت بعد وفاة هنية وقالت أنها تشك بنا أننا من قتلناها، حاولت إمساكها لأتخلص منها لكنها هربت وطوال تلك السنوات وأنا أبحث عنها لم أجدها إلا من ثلاثة أشهر أو يزيد فدبرت لقتلها هي وزوجها وبنتها وبالفعل ماتت هي وزوجها وكانت ابنتها بين الحياة والموت فخشيت أن تدب فيها الحياة ولربما حكت لها أمها قبلًا عنا فتخبر الشرطة ويقبضون علي، حاولت قتلها لم أستطع فأنهيت أعمالي هنا وحولت الأموال في بنك بالخارج وسافرت وكنت أتابع الصحف فعرفت أن والديها دُفنا وقيدت القضية ضد مجهول فقررت أن أعود ولكن بعد وقت حتى تُنسى الحادثة ولكني لم أستطع العيش في الخارج فحولت الأموال إلى هنا مجددًا وعدت لأبدأ عملًا جديدًا ولكنني فكرت لم لا أعيد محلي القديم وأعمل به ففيه ذكريات لي لا تُنسى فقررت أن أشتريه مهما كان ثمنه ولم أتوقع أن تكون نهايتي كبدايتي في هذا المحل.

صرخت به بقوة: نهايتك! أي نهاية تستحق؟ إن ما فعلته ليس بقليل، فقل لي أي جزاء تستحق؟ إن القتل أو الحرق قليل عليك، ولكني لن ألوث أيدينا في شخص

مثلك مقزز بل سنتركك للقانون فقط هو من سيعيد لنا حقنا، تفضل يا حضرة الضابط.

دخل الضابط وجنوده ومعهم تسجيل بإذن النيابة سُجل فيه كل اعترافات سيد وفكوا قيده وقبضوا عليه.

بعد أسبوعين من التحقيقات تم إقامة محاكمة عاجلة ضد المدعو سيد وقضت المحاكمة بإحالة أوراقه إلى المفتي وقضت بقصره لي كوريث لهنية بما أنها اختارتني أنا لأبين الحقيقة وأنتصر لها وأيضًا كتعويض لي عن قتله لأبويّ، بعد أسبوع أتت الفتوى من المفتي وحكمت المحكمة بإعدام سيد شنقًا.

ها قد أتى اليوم الموعود؛ يوم إعدام سيد وجدي الذي تم إعدامه في صباح يوم ١٥/ ٧ وحضرت بنفسي إعدامه وتأكدت من موته، ألا يذكركم هذا التاريخ بشيء ما؟

عدت إلى المحل فقد شاركت ماجد فيه، ألم أخبركم بهذا؟ ما كدت أصل حتى قابلني ماجد على باب المحل وسألني بلهفة: هنية هل تم الأمر؟

أجبته بحبور: نعم، وأخيرًا انتقمت لكل من قتلهم سيد وحرمني منهم.

ظهرت البشاشة على وجهه فقال: بهذه المناسبة السعيدة ألن تخبريني ردك؟ لقد طلبتِ مهلة لتفكري بأمر زواجنا فما رأيك؟

صمتُّ قليلًا ثم قلت وقد تملكتني حمرة الخجل: موافقة يا ماجد.

ما به هذا؟ لمَ يتراقص طربًا؟ ألهذه الدرجة يحبني؟

سألني: متى الخطبة؟

فقلت له باستهجان: ماذا؟ لا تسألني أنا، اسأل أبي؟

فقال بنبرة معتذرة فهو مرتبك للغاية: آسف، حسنًا سأكلمه وأحدد معه موعدًا لأتقدم لخطبتك منه.

فقلت له: سأذهب أنا الآن وأنت أخبره، فأنا أشعر أنني لم أنم منذ سنوات وأتوق بشدة للنوم.

ودعته ثم ذهبت إلى شقتي فأنا لم أتركها قط ولن أتركها إلا لبيت زوجي، أما ذلك القصر فقد بعته فهو مشؤوم.

وصلت شقتي وقبل أن أصعد طمأنت أبي في الهاتف أن الإعدام تم وعرجت على السيد علي وزوجته
فأخبرتهما الخبر السعيد ثم صعدت إلى شقتي ودخلت مباشرة إلى غرفة النوم وارتميت على السرير وغرقت في النوم من فوري فرأيتهم هم الخمسة فقالت هنية:
مبارك يا هنية، لقد حققت مسعاكِ ومسعانا وانتقمتِ لنا، لا نعرف كيف نشكرك؟ الوداع يا هنية؛ تلك المرة الأخيرة التي سنزورك فيها نحن والكوابيس، فلتنعمي بنوم هانئ من الآن.

ثم اختفوا وغرقت في نومي أكثر، ولأول مرة منذ الحادث أنعم بنوم عميق دون كوابيس، ومن اليوم بإذن الله سأكون اسمًا على مسمى؛ هنية الهنية.

Hebatullah Rizk Essa

تمت بفضل الله ومنه وكرمه.

{وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ}

[سورة الأعراف – الآية: ٤٣]

{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}

[سورة النساء – الآية: ١١٣]

Hebatullah Rizk Essa

تمت كتابتها في أواخر عام ٢٠٢٢

وانتهيت من تعديلها وتنسيقها بالنسخة النهائية يوم 2023/12/5